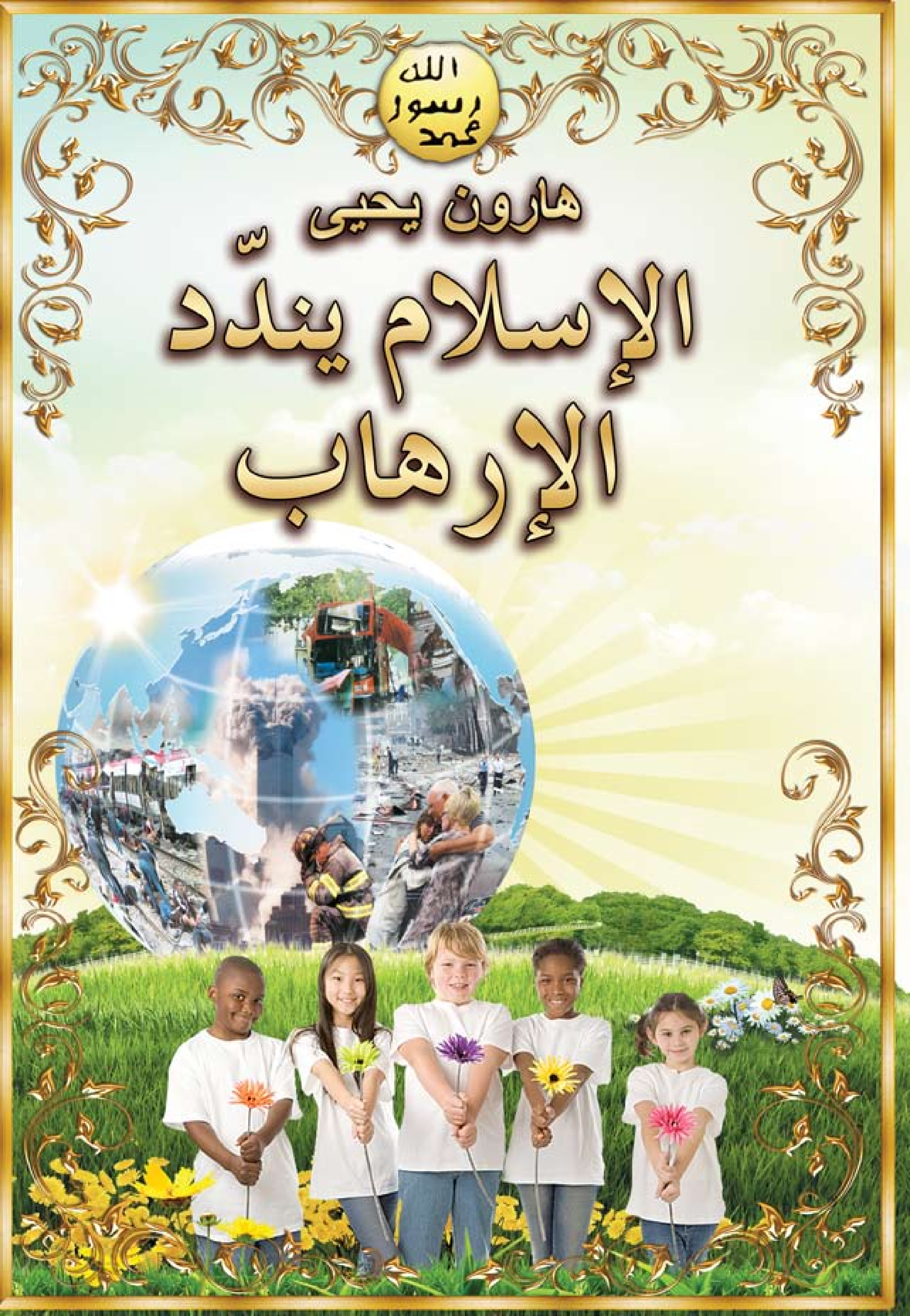

الله
رسول
محمد
هارون يحيى
الإسلام يندّد
الإرهاب

إننا نحن المسلمين ندين الهجمات الإرهابية التي استهدفت أكبر مدينتين في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 وأسفرت عن مقتل عشرات الآلاف من الناس الأبرياء.

هذا الكتاب يبين أن مصدر هذا العنف الذي ندينه لا يمكن بحال أن يكون دينا سماويا، ويبين بصورة خاصة أنه لا مكان للإرهاب في الإسلام. وهذه الحقيقة واضحة في القرآن الذي يمثل المصدر الأسمى للإسلام وواضحة كذلك في سلوك قادة المسلمين على مدى التاريخ وفي مقدمتهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

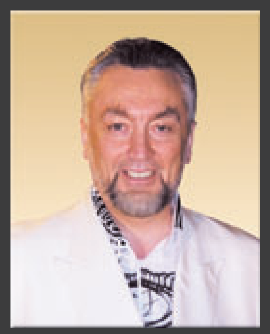
وينبغي ألا ننسى أن من بين الذين قتلوا في نيويورك أو في اشنطن يوجد أناس يحبون عيسى عليه السلام (المسيحيون)، ويوجد أناس يحبون موسى عليه السلام (اليهود) ومن بينهم مسلمون كذلك. وقتل هؤلاء الأبرياء ذنب كبير جزاؤه جهنم ما لم يتغمد الله برحمته وعفوه. فالذي في قلبه شيء من الدين، ويخاف الله تعالى لا يمكن بحال من الأحوال أن يُقدم على ارتكاب عمل مثل هذا.

إن الدين يوصي بالمحبة والرحمة والسلام، أما الإرهاب فهو قسوة تسعى إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء وتعريض الناس للبلاء. ومن هذا المنطلق عندما نبحث عن مصدر ارتكاب هذه الأعمال ينبغي أن نبحث عنها لا في التدين بل في اللادينية. وليس من المهم ما يحمله الإرهابي من اسم وما يُكتب في هويته من رسم، فمن يقتل الأبرياء ولا يُبالي ليس متدينا بل هو خُلو من أيّ دين. ولذلك من الخطإ أن نطلق مفاهيم مثل "الإرهاب الإسلامي" أو "الإرهاب المسيحي أو "الإرهاب اليهودي".

لا يوجد إرهاب في الدين الحق، بل بالعكس من ذلك فالعمليات التي نطلق عليها كلمة "إرهابية" (بمعنى الجرائم التي تُرتكب في حق الناس الأبرياء) هي في نظر الإسلام جريمة كبرى، والمسلمون مطالبون بالتصدي لهذه الأعمال ومطالبون بنشر الامن والسلام والعدل على الأرض.

في هذا الكتاب نبين في ضوء القرآن الكريم ومن خلال شواهد وأدلة من التاريخ كيف أن الإسلام حرم الإرهاب وسعى إلى نشر السلام والطمأنينة في العالم.

حول الكاتب



ولد عدنان أوقطار عام ١٩٥٦، وهو يستعمل الاسم المستعار هارون يحيى. ومنذ الثمانيات من القرن الماضي كتب عدداً كبيراً من المؤلفات في مواضيع مختلفة، إيمانية وعلمية وسياسية، إلا جانب ذلك يوجد للكاتب مؤلفات في غاية الأهمية تكشف زيف أتباع نظرية التطور، وتفند ادعاءاتهم، وتفضح الصلات الخفية، بين الداروينية والأيديولوجيات الدّموية.

وهدف المؤلف الرئيسي من وراء أعماله هو إيصال نور القرآن الكريم إلى شتى بقاع العالم، ودفع الناس بذلك إلى التفكير والتفكّر في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله تعالى ووحدانيته، واليوم الآخر، وكذلك كشف الأسس المتهاونة لنظم الجاحدين وسلوكياتهم المنحرفة. وإلى حدّ الآن ترجم للكاتب نحو ٢٥٠ مؤلفاً إلى ٥٧ لغة مختلفة، وهي تحضى باهتمام بالغ من قبل شريحة واسعة من القرّاء. وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى خلال القرن الواحد والعشرين، وسيلة للبلوغ بالإنسان في شتى أنحاء العالم إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي جاء التعريف بها في القرآن الكريم.


بسم الله الرحمن الرحيم
الله
رسول
محمد



وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن الذين يساهمون في نشر هذه الكتب ويحثون الناس على قراءتها لتكون وسيلة لهدايتهم هم في الحقيقة يقدمون خدمة للدين لا تقدّر بثمن.

وعلى هذا الأساس، فإنّ العمل على نشر الكتب التي ثبت بالتجربة أنها تشوش الأذهان وتُدخل البلبلة على الأفكار وتزيد من الشّكوك والتردّد ولا تملك تأثيرًا قويّا وحاسمًا في طرد الشبهات من القلوب، يُعتبر مَضيعةً للجهد والوقت. ومن الواضح أن هذه المؤلفات لم تكن لتترك كل هذا التأثير لو كانت تركز على بيان القوة الأدبية للكاتب أكثر من تركيزها على الهدف السامي المتمثل في هداية الناس. ومن لديه أدنى شك في ذلك فيمكنه أن يتحقّق من أن الغاية القصوى هي دحض الإلحاد ونشر أخلاق القرآن من خلال تأثير هذا الجهد وإخلاصه ونجاحه.

يتعين إدراك حقيقة مهمة، وهي أن الظلم والفوضى السائدين اليوم في أنحاء الأرض وما يتعرض له المسلمون من أذى سَببه تحكّم الفكر الإلحادي في شؤون العالم. والطريق الذي يضمن الخلاص من هذا كلّه هو إلحاق الهزيمة بالفكر الإلحادي وبيان حقائق الإيمان و إجلاء الأخلاق القرآنية بحيث يُصبح النّاس قادرين على التمسك بها. وبالنظر إلى حالة العالم وما يُراد له من مزيد جرّه إلى الفساد والشّرور والدمار فإنه من الضروري المُسارعة قدر المستطاع إلى القيام بما هو ضروري، وإلا فقد يُقضى الأمر ولاتَ حين مناص. وخلال القرن الواحد والعشرين، وبإذن الله تعالى سوف تكونُ كليّات هارون يحيى –من خلال نهوضها بهذه المهمّة– الوسيلة للوصول بالنّاس إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي أوضحها لنا القرآن الكريم.



حول المؤلف

يتكون الاسم المستعار للكاتب من "هارون" و "يحيى" في ذكرى موقرة للنبيين اللذين جادلا ضد الكفر والإلحاد، بينما يظهر الخاتم النبوي على الغلاف رمزًا لارتباط المعاني التي تحتويها هذه الكتب بمضمون هذا الخاتم. ويشير هذا الخاتم النبوي إلى أنّ القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وأنّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين. وقد اتخذ الكاتب لنفسه القرآن الكريم والسنة النّبوية دليلاً ومرشدًا، وفي جميع المؤلفات أخذ العهد على نفسه بنسف جميع الأسس التي تقوم عليها النظم الإلحادية وإبطال كل المزاعم التي تقوم عليها الحركات المناهضة للدّين. ويعتبر هذا الخاتم الذي مَهر به كتبه بمثابة إعلان عن أهدافه هذه.

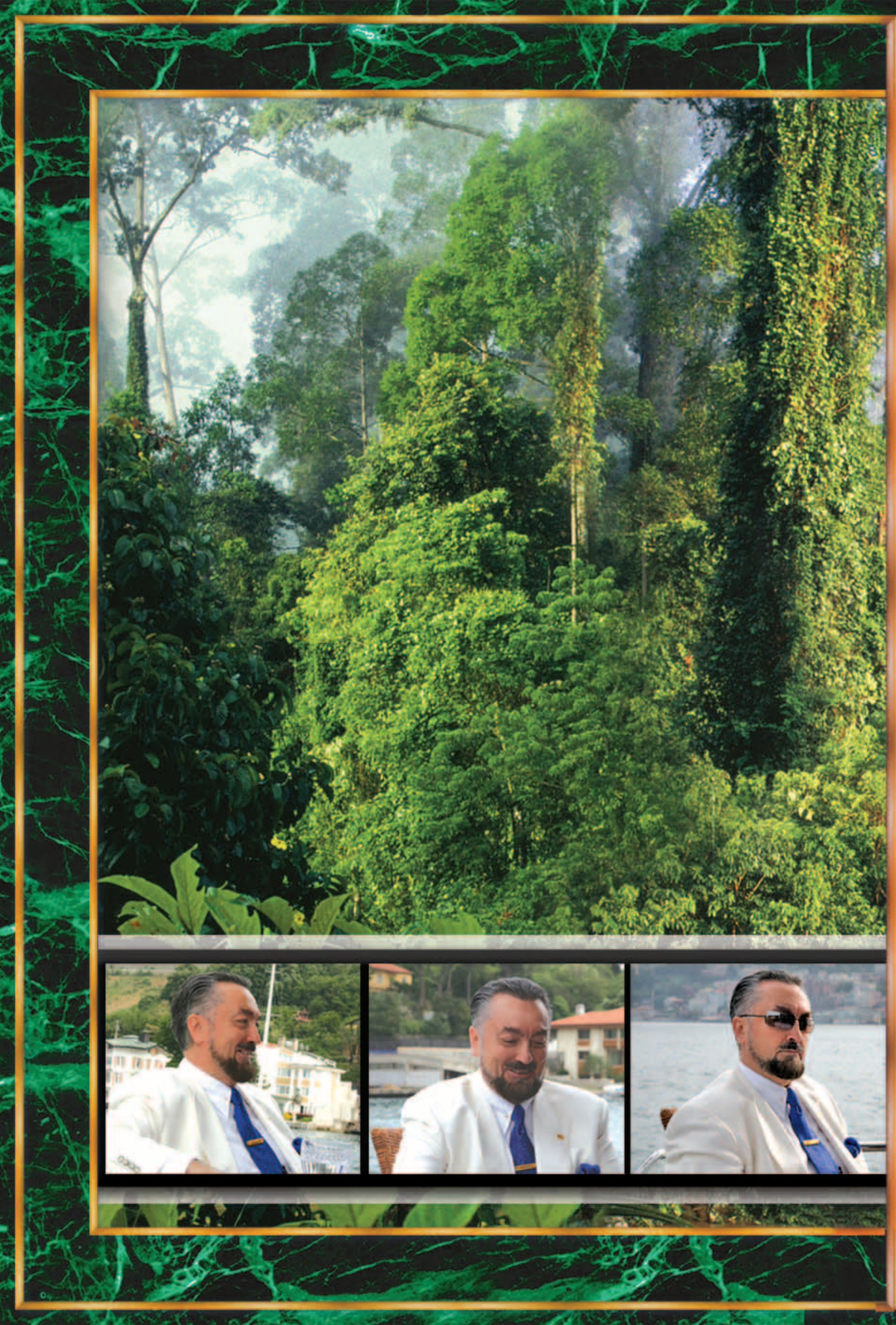
تدور جميع كتب المؤلف حول هدف رئيسي هو تبليغ نور القرآن ورسالته لجميع الناس، وحثهم على الإيمان بوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر، وعرض تهافت النظم الإلحادية وفضحها على الملإ.

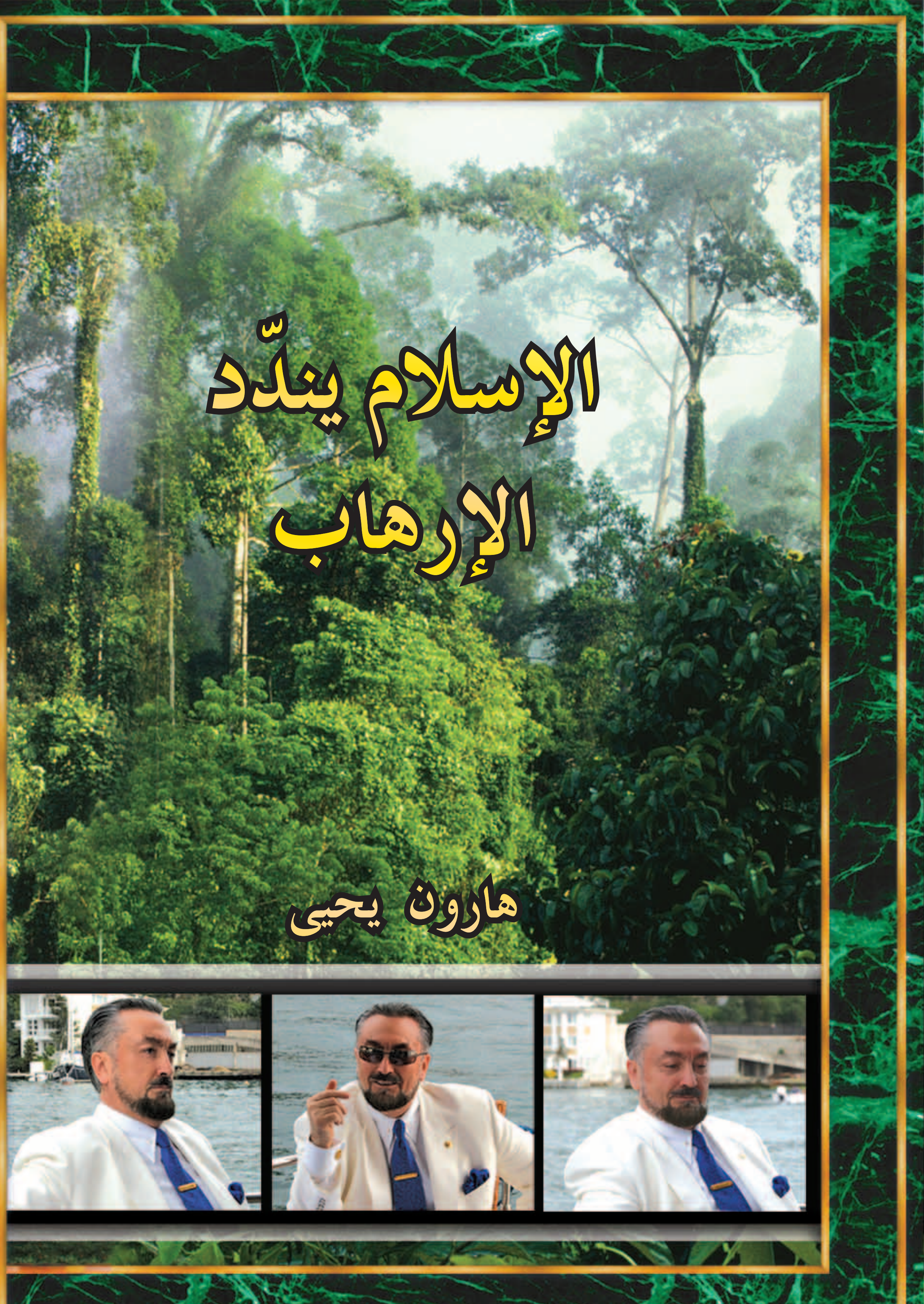
تحضى كتب هارون يحيى بقبول واهتمام كبيرين في شتى أنحاء العالم؛ من الهند إلى أمريكا، ومن إنكلترا إلى أندونيسيا، ومن بولونيا إلى البوسنة، ومن إسبانيا إلى البرازيل، ومن ماليزيا إلى إيطاليا، ومن فرنسا إلى بلغاريا وروسيا.

ترجمت كُتب المؤلّف إلى العديد من اللّغات الأجنبية، ومن بين تلك اللغات: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإويغورية والاندونيسية والمالاوية والبنغالية والصربية والبلغارية والصينية والسواحلية (لغة مستعملة في تنزانيا) ولغة الهوسه (لغة منتشرة في إفريقيا)، ولغة الدّيولهي (لغة مستخدمة في موريس) والدانماركية والمجرية وغيرها من اللغات. و هناك إقبال كبير على قراءة هذه الكتب بهذه اللغات.

لقد أثبتت هذه المؤلفات جدارتها، ووجدت تقدير كبيرًا في كافة أنحاء العالم. وقد كانت سببًا في هداية كثير من الناس إلى طريق الإيمان وساهمت من جانب آخر في تقوية إيمان كثير من المؤمنين. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها يلاحظ بوضوح الحكمة البالغة التي تكمن فيها والسهولة الموجودة بين ثنايا سطورها والصدق الذي يميز أسلوبها والعمق في تناول القضايا العلمية. وما يميّز هذه المؤلفات أيضا سُرعة تأثيرها وضمان نتائجها وعدم القدرة على نقض ما فيها ودحضه. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها بعمق لن يكون بإمكانه بعد ذلك الدّفاع عن الفلسفات المادية والآراء الإلحادية والأفكار المُنحرفة الأخرى.

وإذا حدث وأن نافح منافح عن تلك النظريات بعد مطالعة هذه المؤلفات فلن يكون ذلك سوى عن عناد عاطفي لأنّ السّند العلميّ قد تمّ دحضه وإبطاله. ولا شك أن هذه الخصائص نابعة من قوة حكمة القرآن وحُججه الدّامغة. والكاتب لا يسعى من وراء عمله هذا إلى نيل المديح والثناء إنما هدفه وغايته هداية الناس والسير بهم في طريق الإيمان، كما أنّ ليس همّه تحصيل أيّ ربح أو مكسب مادّي.




الإسلام يندّد
الإرهاب
هارون يحيى



المحتويات

إلى القراء الكرام

إن المواضيع الإيمانية الموجودة في جميع كتب المؤلف مشروحة وموضحة في ضوء الآيات القرآنية. وهذه الكتب تدعو الناس جميعًا إلى فهم هذه الآيات والعيش وفقا لتعاليمها. لقد تم شرح جميع المواضيع المتعلقة بآيات الله بحيث لا تبقى هناك أي شبهة أو تردد في ذهن القارئ. إن الأسلوب السلس والسهل والرصين المنبعث من القلب هو الذي يسَّر فهم هذه الكتب من قِبل الجميع صغارا وكبارا، ومن كل فئات المجتمع، بسهولة ودون أي صعوبة، وهو الذي جعل هذه الكتب كتبًا لا تستطيع أن تتركها قبل إتمام قراءتها. وحتى الذين اتخذوا موقفا معارضا للدين يتأثرون بالحقائق المذكورة في هذه الكتب، ولا يستطيعون دحض صحة محتوياتها.

وكما يستطيع القراء قراءة هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف على انفراد، فهم يستطيعون قراءتها بشكل جماعي، أو مناقشتها فيما بينهم والتسامر حولها. إن قراءة هذه الكتب بشكل جماعي ونقل كل فرد رأيه وخبرته إلى الآخرين أمر مفيد جدا.

علاوة على هذا، فإن المساهمة في تعريف هذه الكتب — التي لم تؤلَّف إلا لوجه الله تعالى ولمرضاته — ونشرها بين الناس تُعَد خدمة إيمانية كبيرة، لأن الأدلة والبراهين التي يوردها المؤلف في هذه الكتب قوية جدا ومقنعة، لذا كان على كل من يريد خدمة هذا الدين تشويق الآخرين لقراءتها والاستفادة منها.

إننا نأمل أن يتسع وقت القارئ للاطلاع على استعراض الكتب الأخرى، الذي نقدمه في نهاية هذا الكتاب، ليكون على علم بوجود منابع ثرَّة ومصادر غنية من الكتب في المواضيع الإيمانية والسياسية، التي تعد قراءتها مفيدة وممتعة للغاية.

لا ترى في هذه الكتب ما تراه في بعض الكتب الأخرى من رؤى شخصية للمؤلف، ولا ترى شروحا وإيضاحات مستندة إلى مصادر مشبوهة، ولا أي نقص أو قصور في أسلوب الأدب والتوقير الواجب اتخاذه تجاه المفاهيم والمواضيع المقدَّسة، ولا ما يجُر القارئ إلى الحيرة والتردد أو إلى اليأس والقنوط.

GLOBAL PUBLISHING

Talatpaşa Mah. Emirgazi Caddesi

İbrahim Elmas İşmerkezi

A Blok Kat 4 Okmeydanı - İstanbul

Tel: (+90 212) 222 00 88



مقدمة

نحن المسلمين ندين بشدة هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية على أكبر مدينتين في الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الهجمات التي تسببت في مقتل الآلاف من الأبرياء، ونقدم تعازينا للشعب الأمريكي. وقد فجرت هذه الهجمات قضية هامة وضعت على رأس قائمة النقاش الذي يدور في العالم وهي طبيعة المصدر الحقيقي للإرهاب. وهكذا فقد أعلن للعالم كله أن الإسلام هو دين السلام والتسامح الذي يدعو الناس للرحمة. وقد قال العديد من رؤساء العالم، والجهات الإعلامية ومحطات الإذاعة والتلفزيون أن الإسلام الحقيقي يحرم


﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
(النحل : ٩٠)

العنف ويشجع السلام بين الناس وبين الأمم.

وقد تفهم العالم الغربي حقيقة الإسلام وأنه هو دين السلام الذي بينه الله تعالى في القرآن الكريم، و أدركوا أن كلمة "إسلام" وكلمة "إرهاب" لا تجتمعان أبدا، وأنّ كل الأديان تحرم العنف. ويؤكد هذا الكتاب بالدليل القاطع أن الدين ليس هو مصدر الإرهاب الذي ندينه جميعا لأنه لا مجال للإرهاب في الإسلام. ويتضح هذا في القرآن الذي هو المصدر الرئيسي للإسلام وفي الأحكام والتشريعات التي توجه تصرفات المسلم الحقيقي، وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويبرهن هذا الكتاب، في ضوء آيات القرآن الكريم ومن خلال إيراد أمثلة من التاريخ على أنّ الإسلام يحرم الإرهاب ويهدف إلى نشر الأمن والأمان في العالم.

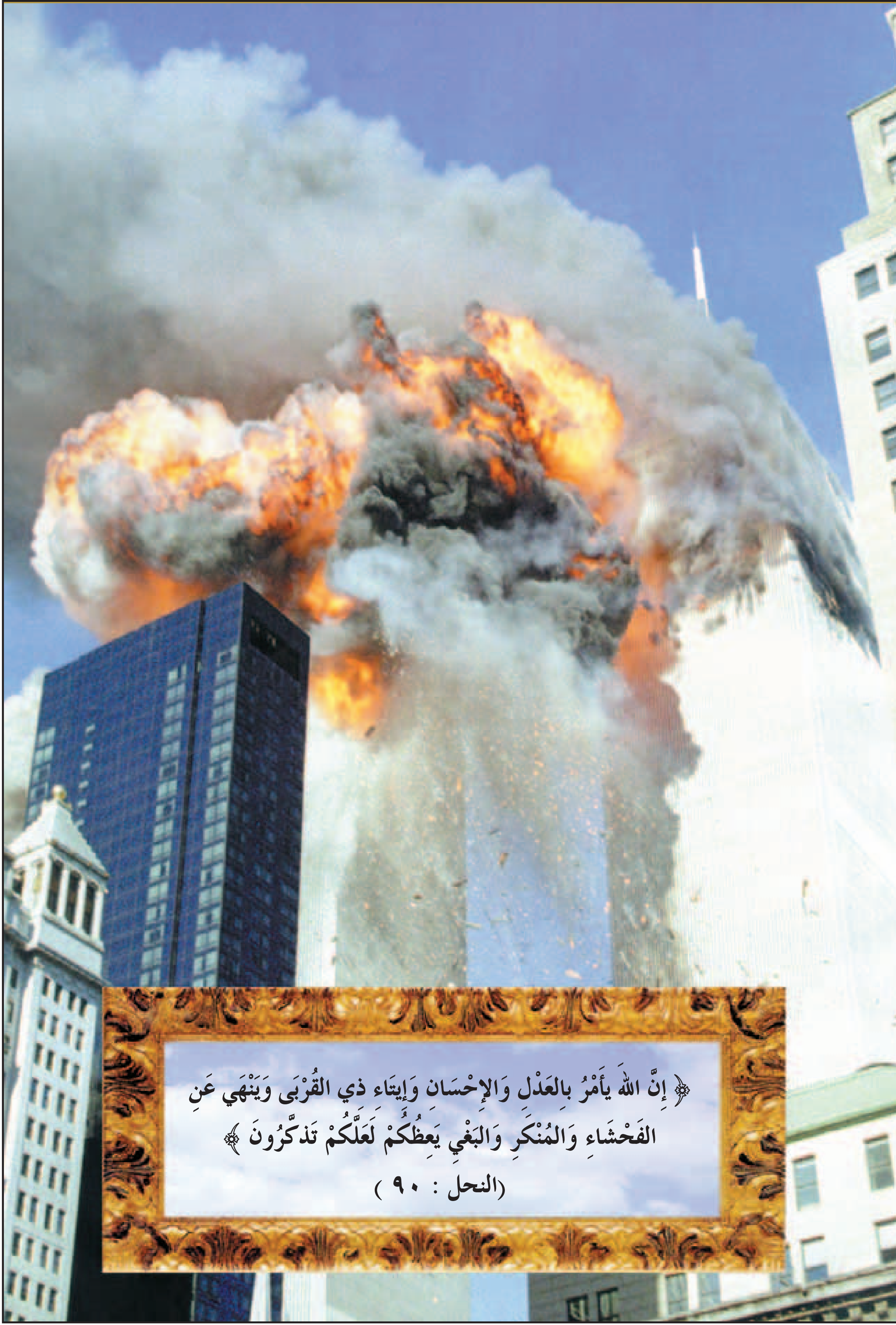
وكما هو معروف فقد وقعت العديد من الأحداث الإرهابية في أماكن مختلفة من العالم، تم تنظيمها من قبل مجموعات لأهداف مختلفة. فأحيانا تعلن المنظمات الشيوعية عن مسؤوليتها عن هذه الأحداث وأحيانا أخرى تكون منظمات فاشية أو أحزاب انفصالية وراء هذه الأحداث.

بينما أصبحت بعض البلاد مثل أمريكا الهدف الأساسي للإرهاب من المجموعات العنصرية والمهمشة، كما أصبحت أوروبا مسرحا لأحداث العنف التي تقوم بها المجموعات الإرهابية.

منظمة السابع عشر من نوفمبر في اليونان، والحزب الشيوعي وحزب النازيين الجدد بألمانيا، ومنظمة ايتا الانفصالية بأسبانيا، والفرق الشيوعية بإيطاليا والعديد من المنظمات الأخرى تعمل علي نشر آرائها بالعنف والإرهاب وقتل الأبرياء.

وتتغير طبيعة الإرهاب بتغير الأوضاع العالمية وتزداد حدته وقوته بتطور الإمكانيات والتكنولوجيا. وخاصة بعض وسائل الاتصال مثل الإنترنت فهي تساعد علي نشر وتوسيع أهداف الإرهاب وجعله اكثر تأثيرا.

بالإضافة الي المنظمات الغربية، توجد بعض المنظمات الإرهابية مصدرها الشرق الأوسط. ويتم شن الهجمات الإرهابية عن طريق هذه المجموعات في كل


﴿ إِنَّ اللهَ يأَمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تذكَّرُونَ ﴾
(النحل : ٩٠)



مكان من العالم.

وللأسف فان هذه الجرائم والأفعال الإرهابية التي تتدعي أنها ذات هوية مسيحية أو مسلمة أو حتى يهودية، هي في الحقيقية لا تتفق مع الأديان المقدسة. والحقيقة أنه إذا ما ارتكب مسلم هذا الفعل الإرهابي فانه لا يجب أن نطلق عليه "إرهابا إسلاميا" كما أننا لا نسميه "إرهابا يهوديا" او ''إرهابا مسيحيا'' إذا ما قام به واحد من أتباع هاتين الديانتين، والسبب، كما سيتم بيان ذلك هو أن قتل الأبرياء باسم الدين غير مقبول.

ويجب أن لا ننسي أن الذين قتلوا في أحداث ١١ سبتمبر بنيويورك من المسلمين والمسيحيين واليهود. فان قتل الأبرياء خطيئة كبرى عقابها جهنم، إلا من رحم الله، ولن يقوم بها أي إنسان يخاف الله تعالى.

فالمعتدي يقوم بهذه الجرائم بهدف مهاجمة الدين نفسه، وقد يكون هدفها تشويه صورة الدين وإبعاد الناس عنه وتشويه صورة المتدينين. وبالتالي فان أي هجوم على مدن أمريكية او أي أناس أبرياء آخرين يحمل واجهة دينية، هو في الحقيقة يهاجم الدين نفسه.

إن الدين يدعو إلى الحب والرحمة والسلام، بينما علي النقيض نجد أن الإرهاب يمثل القسوة وهو بعيد عن الرحمة ولا يجلب سوى الدماء والدموع. وهكذا فانه يجب أن نبحث عن مصدر الإرهاب في الكفر وفي الدين. ويجب أن نضع في دائرة الشك هؤلاء الذين يحملون اتجاهات شيوعية أو عنصرية أو مادية.

فهوية المعتدي لا تهم، طالما أنه قادر على قتل الأبرياء دون تردد، إذن فهو كافر وليس مؤمن. فهو قاتل لا يخاف الله، هدفه الأساسي سفك الدماء والتسبب في الأذى. ولهذا السبب فان "الإرهاب الإسلامي " فكرة خاطئة تتناقض مع رسالة الإسلام. فدين الإسلام لا يوافق بأي حال من الأحوال على الإرهاب. بل على العكس فإن الإرهاب وقتل الأبرياء هما عند الله من أكبر الكبائر. والمسلمون مسؤولون عن منع مثل هذه الهجمات ونشر السلام والعدل في العالم.



" إذا نظرنا إلى الإرهاب، يجب أن ننظر الى مصدره بعيدا عن الدين، فالدين يدعو إلى الحب والرحمة والتسامح والسلام والتعايش وفقا للمعايير الأخلاقية بينما الإرهاب يمثل القسوة والعنف ويسبب الألم وإراقة الدماء وارتكاب الجـــرائم ".



﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ
وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
(البقرة : ٦٠)



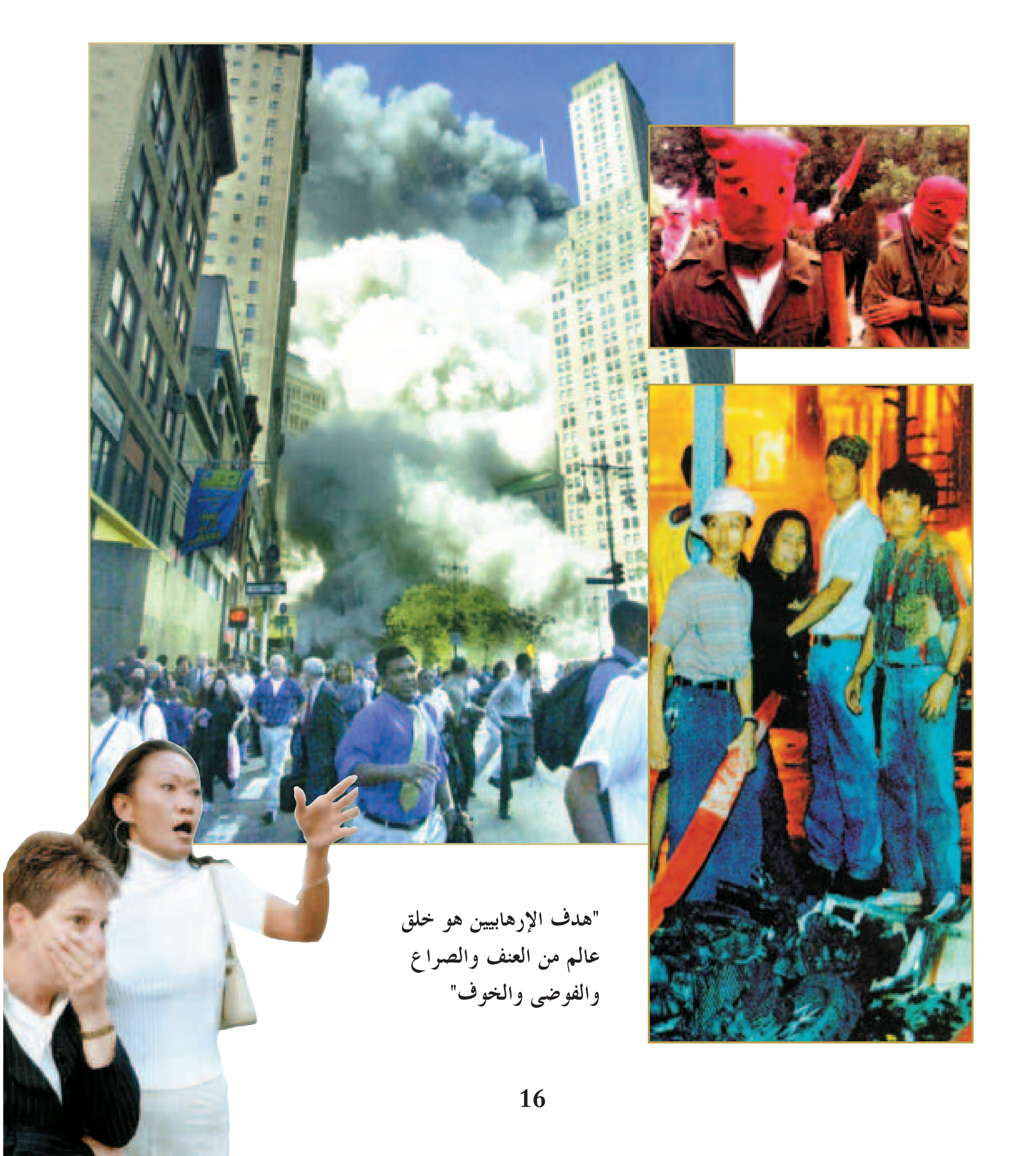
أخلاق الإسلام: مصدر الأمن والأمان

إن بعض الأشخاص الذين يقومون بهذه الأفعال باسم الدين هم في الحقيقة يسيئون فهم الدين وبالتالي يمارسونه بالطريقة الخاطئة. وسيكون من الخطأ أن نبني فكرتنا عن الدين معتبرين هؤلاء الأشخاص مثالا له، فاحسن طريقة لفهم الدين هي دراسته من مصادره الصحيحة.

فالمصدر الإلهي للإسلام هو القرآن الكريم الذي يرتكز على المفاهيم الأخلاقية والحب والرحمة والتواضع والتضحية والتسامح والسلام. فالمسلم الذي يعيش بهذه المبادئ بمفهومها الحقيقي سوف يكون أكثر تأدبا وأرق مشاعر وأكثر تواضعا وجديرا بالثقة والعشرة وسوف ينشر حوله الحب والاحترام والألفة وجمال الحياة.

الإسلام دين السلام

الإرهاب بمفهومه العام، هو العنف المرتكب ضد أهداف غير مسلحة لأغراض سياسية. وبمعنى آخر، فأهداف الإرهاب هم المدنيون الأبرياء والذين يمثلون في نظر الإرهابيين ''الطرف الآخر''، وهذه هي جريمتهم الوحيدة.



"هدف الإرهابيين هو خلق عالم من العنف والصراع والفوضى والخوف"



" إن المجتمع الذي تشيع فيه القيم الأخلاقية الإسلامية هو مجتمع يتميز بالسلام والتسامح والحب والرحمة والتعاون المتبادل والفرح"

ولهذا السبب فان وسيلة الإرهاب هي تعريض الأبرياء للعنف، وهي وسيلة تخلو من أي تبرير أخلاقي. ومثال علي هذا جرائم القتل التي ارتكبها هتلر وستالين ضد الإنسانية .

أنزل الله القرآن ليهدي به الناس إلى سواء السبيل وفيه يأمر الله الناس بالتحلي بمكارم الأخلاق. وهذه الأخلاقيات تركز على مبادئ مثل الحب والرحمة والتسامح. وفي اللغة العربية تشتق كلمة "إسلام" من كلمة "سلام".

أرسل الله الإسلام إلى البشرية بهدف نشر السلام على وجه الأرض، وهو أحد مظاهر رحمة الله بعباده. يدعو الله الناس إلى التحلي بأخلاقيات الإسلام من خلال الرحمة والسلام والتسامح. قال الله تعالي :

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

وكما يتضح من الآية الكريمة، فالأمن يتحقق بالدخول في الإسلام والعيش وفق أخلاق الإسلام.

فأخلاق القرآن وقيمه يحددان مسئوليه المسلم في تعامله مع الآخرين بالرحمة والعدل، سواء كانوا علي دين الإسلام أو على غيره من الأديان. ويدعو إلى حماية الفقراء والأبرياء ومنع الأذى عن الآخرين.

والمقصود بالأذى كل أنواع الفوضى والإرهاب التي تتسبب في غياب الأمن والراحة والسكينة. وكما قال الله عز وجل :

﴿ وَالله لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾ (البقرة : ٢٠٥)

وقتل إنسان بدون ذنب من أكبر أنواع الفساد. ونذكر هنا أمر الله لليهود في القران:

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٌ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة : ٣٢)



وكما تقول الآية فمن يقتل إنسانا واحدا بدون ذنب أو تسبب في الفساد في الأرض، فكأنه قتل جميع الناس.

وهكذا يتضح لنا أن ذنب قتل الآخرين وترويعهم والذي يعرف باسم "الهجمات الانتحارية" لا يقترفه إلا الإرهابيون. ويخبرنا الله عن عقاب هؤلاء في الآخرة قائلا:

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى : ٤٢)

كل هذا يبين لنا أن أعمال الإرهاب التي تنظم ضد الأبرياء هي أيضا ضد الإسلام، ولا يستطيع أي مسلم ارتكاب مثل هذه الجرائم. بل على العكس، فالمسلمون مسئولون عن إيقاف هؤلاء الإرهابيين والقضاء على الفساد ونشر الأمن والأمان في الأرض. فالإسلام لا يتفق أبدا مع الإرهاب، بل هو الحل والسبيل لمنعه.

الله يلعن المفسدين

لقد حرم الله على الناس ارتكاب الشر مثل الظلم والعنف والقتل وسفك الدماء. ويصف الذين لا يتبعون أوامره بكونهم من ''أتباع الشيطان''. وقد وصف الله هؤلاء في العديد من آيات القران منها:

﴿ وَالذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله منْ بَعْد ميثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله به أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءَ الدَّارِ ﴾ (الرعد : ٢٥)

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا منْ رِزْقِ الله وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة : ٦٠)

﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٦)

وهؤلاء الذين يعتقدون انهم ينجحون عن طريق الأذى والثورة والاضطهاد وقتل

الأبرياء يرتكبون ذنبا كبيرا. فقد حرم الله جميع أشكال الشر ومنها الإرهاب والعنف ويدين الذين يرتكبون هذه الجرائم بقوله:

﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس : ٨١)

في هذه الأيام، تحدث أعمال الإرهاب والإبادة الجماعية والمذابح في كل مكان في العالم، ويقتل الأبرياء بشكل وحشي في العديد من بلدان العالم حيث تتصارع جماعات فيما بينها لأسباب عرقية وعصبية. هذا الرعب الذي ينتشر في جميع بلدان العالم يختلف باختلاف الزمن والثقافة والحياة الاجتماعية وكل حدث له أسبابه ومصادره الخاصة.

"من الواضح أن هناك أسبابا عديدة للإرهاب الذي أودى بحياة مئات الآلاف من الأبرياء. وهؤلاء الذين يرتكبون هذه الأفعال لا يخافون الله . وهم بعيدون كل البعد عن مبادئ الدين وأخلاقياته"



ومهما يكن من أمر، فمن الواضح أن السبب الأساسي المحرك لمثل هذه الأفعال بعيد كل البعد عن تعاليم القران الكريم وتوجيهاته المرتكزة على الحب والاحترام والتسامح. وكنتيجة لغياب الدين، فان مثل هذه الجماعات لا تخاف الله ولا يؤمن أفرادها بالحساب ولا بالآخرة وعقيدتهم أنّ "أحدا لن يحاسبهم"، ولذلك فهم يتصرفون بلا مبالاة دون شفقة أو رحمة أو ضمير.

هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه الأعمال الإرهابية باسم الدين هم في الحقيقة منافقون، يرتكبون إثما نهى الله تعالى عنه. وقد اخبرنا الله في القرآن الكريم عن عصابة مكونه من تسعة رجال خططوا لقتل النبي عليه الصلاة والسلام متعاهدين باسم الله، قال الله عنهم:

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل : ٤٨ – ٥٠)

وكما تبين هذه الحادثة المذكورة في القرآن الكريم فإنّ الإرهابيين الذين يقومون بأفعالهم تحت اسم الله وقسمه، هم في الحقيقة ليسوا متدينين بل يستخدمون هذه التعابير لكي يضفوا علي أنفسهم الصبغة الدينية، ولكن الحقيقة هي أن أفعالهم ونواياهم مخالفة لما أرادة الله وهي ضد مبادئ الدين. وحقيقة ما يؤمنون به تظهر في أعمالهم، فأفعالهم تكون سببا في الفساد والبعد عن الحق. فمما لا شك فيه أن هؤلاء الأشخاص لا يمتون بصلة إلى الدين وأهدافهم لا تخدمه من قريب أو من بعيد.

إن من يخشى الله تعالى لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يشارك في أعمال العنف. لذلك فإن الحل الحقيقي للقضاء على الإرهاب هو الإسلام. وعندما تنتشر المبادئ والأخلاقيات الرفيعة الموجودة في القرآن يكون من المستحيل أن يربط الناس بين الإسلام الحقيقي وهذه المجموعات التي تزرع الكراهية والحرب

والفوضى. وذلك لأن الله حرم الإفساد قائلا:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ ﴾ (البقرة : ٢٠٥ – ٢٠٦)

وكما جاء في الآية السابقة فالمؤمن لا يغض بصره حتى عن أصغر الأفعال التي تؤذي الآخرين. أما هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله والآخرة فيفعلون وبلا تردد كل الشرور والآثام ويعتقدون أن أحدا لن يحاسبهم.



"أولئك الذين يهددون حياة الأبرياء وخاصة الأطفال منهم، يجب أن يسألوا أنفسهم، أي ذنب جناه هؤلاء الأطفال ؟ ألن يحاسبهم الله عما يرتكبونه ضد الأبرياء ؟؟"



مسئولية المؤمنين

إنّ الذين لا يعيرون اهتماما لمثل هذه الأحداث لأنها لا تؤثر عليهم تأثيرا مباشرا، إنما يفتقدون إلى البصيرة والحكمة، ولقد وهب الله تعالى الناس نعما عظيمة تتمثل في مشاعر الإيثار والاخوة والصداقة والتواضع وعليهم ان يتخلصوا من أنانيتهم.

يحاول مثل هؤلاء الناس إرضاء أنانيتهم بكل الوسائل الممكنة دون أي اكتراث بالخطر الذي يهدد الإنسانية. ومن ناحية أخرى، يمدح الله في القرآن هؤلاء الذين يجاهدون من أجل حياة أفضل لهم ولغيرهم ويهتمون بما يدور حولهم من أمور ويدعون الناس للطريق الصحيح. ويشير القرآن الكريم إلى هؤلاء الذين لا يأبهون بالآخرين ولا يريدون لهم الخير، ويشير كذلك إلى أولئك الذين يسعون في طريق الخير والصلاح:

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّهُ لاَ يَأْتِي بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل : ٧٦)

وكماً تشير الآيّة إلى الذين هم "على صراط مستقيم" يخلصون لدينهم ويخافون ربهم ويأخذون القيم الروحية في اعتبارهم ويتلهفون لخدمة الناس. وعموما فقد سخر الله مثل هؤلاء الناس لخدمة الإنسانية وتحقيق فوائد عظيمة للبشرية. لذلك فانه من الضروري أن يتبع الناس الدين الحقيقي ويعيشون في ظل توجيهات القرآن الكريم الذي هو آخر كتب الله . ويعرف الله في القرآن هؤلاء الذين يعيشون في ظل أخلاقياته قائلا:

﴿ الذينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾

(الحج : ٤١)

الله يأمر بفعل الخير

المسلم إنسان يلتزم بأوامر الله ويحاول جاهدا أن يعيش في ظل تعاليم القرآن في ود وسلام ، مما يجعل من العالم مكانا أكثر جمالا وأمانا. وهدف المسلم هو إرشاد الناس للجمال والصلاح والخير كما جاء في القرآن تاكريم:

﴿ وأحْسِنْ كَمَا أ حْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ (القصص : ٧٧)

يسعى المسلم جاهدا لكسب رضا الله ورحمته ليدخله جنته. لذلك فهو يتصرف بقدر استطاعته بما يرضي الله ما دام حيا. ومن أكثر مظاهر السلوك الأخلاقي وضوحا هي الشفقة والرحمة والعدل والأمانة والتسامح والتواضع والتضحية والصبر. والمسلم الحقيقي يعامل الناس بالحسنى ويحاول أن يفعل الخير وينشره. ويأمر الله المؤمنين في آياته قائلا:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الجَمِيلَ ﴾ (الحجر : ٨٥)



" من أهم تعاليم الإسلام: الحب والرحمة والتعاون والتضحية والتسامح والمغفرة. ومن المحال أن يوجد العنف والإرهاب في مجتمع يتحلى بتلك المبادئ والأخلاقيات".

﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورا ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (المائدة : ٢)

وكما توضح هذه الآية فإن الله يطلب من المؤمن أن يكون بارّا بأخيه المؤمن، ويطلب منه أن يكون محبا لفعل الخيرات وتجنب الشرور والمعاصي . ويعد الله المحسنين قائلا :

﴿ مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشَرَةُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام : ١٦٠)

ويصف الله نفسه في كتابه قائلا "يعلم ما تخفي الصدور" ويحذر سبحانه الناس من غضبه حتى يتجنبوا المعاصي . فالمسلم الذي سلم نفسه لله يجب أن يفعل ما بوسعه لمحاربة الإرهاب.

المسلم لا يقف موقف المتفرج مما يدور حوله حتى وإن لم يصبه ضرر وذلك لأنه قد سلم أمره ونفسه لله تعالى. إنه سفير الخير، فهو لا يستطيع أن يقف في الحياد إزاء ما يقع من العنف والإرهاب، بل على العكس، المسلم هو العدو الأول للإرهاب ، هذا الإرهاب الذي يقتل الأبرياء دونما ذنب ارتكبوه. فالإسلام ضد كل أنواع العنف بل ويحاول منعه قبل أن يبدأ. بمعني آخر، يدعو الإسلام إلى أن يسود السلام والعدل بين الناس ويأمرهم أن يتجنبوا التنازع والتقاتل.

الله يأمر بالعدل

وصف القرآن العدل الحقيقي وأمرنا به، فالعدل ألا نفاضل بين الناس وأن نحمي حقوقهم ، وأن لا نجيز عنفا أبدا مهما كانت الظروف وأن نقف إلى جانب الضعيف

ضد الظالم ونساعد المحتاج.

يتطلب العدل حماية حقوق كل الأطراف عند التوصل لقرار لحل النزاع، وتحليل كل مظاهر الحدث، والتخلي عن كل الأحقاد. وينبغي على المرء إزاء كل ذلك أن يكون موضوعيا، صادقا ، متسامحا، رحيما وعطوفا. فعلى سبيل المثال ، الشخص الذي لا يستطيع أن يكون محايدا في تحليل الأحداث ويتذبذب بمشاعره وعواطفه سيبقي تحت تأثير هذه المشاعر ويفشل في الوصول إلى القرار الصحيح.

علي أية حال من يحكم بالعدل عليه أن يضع كل مشاعره وآرائه الشخصية جانبا ويعامل كل الأطراف بالعدل، وفي النهاية ينحاز للحق مهما كانت الظروف، ولا يبتعد أبدا عن طريق الأمانة والصدق. ويجب أن يتقمص الشخص روح القرآن لكي يراعي مصالح الآخرين قبل مصلحته الشخصية حتى وأن لحق به الضرر حفاظا على العدل .

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾
(المائدة : ٤٢)

وفي سورة النساء يأمر الله المؤمنين بالعدل حتى وإن كان على حساب النفس:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ (**النساء : ١٣٥**)

يصف الله العدل في القرآن وصفا دقيقا ويخبر المؤمنين بالموقف الذي يجب أن يتبنوه في مواجهة الأحداث والطرق التي يتوجب اتباعها للوصول إلى العدل . مثل هذا التوجيه يسر للمؤمنين ورحمة من الله عز وجل.

ولذلك فان المسلم مطالب بممارسة العد دون انحياز وذلك لكسب رضا الله والعيش في سلام وأمان .



إن الله العادل يأمر في قرآنه بالعدل والمساواة بين الناس دون تمييز على أساس اللغة أو الجنس أو العرق أو الدين، فالعدالة في القرآن لا تتغير بتغير المكان ولا الزمان ولا الأشخاص. وحتى يومنا هذا نجد أن كثيرا من الناس في أماكن كثيرة يتعرضون للظلم والمعاملة القاسية فقط بسبب لونهم أو جنسهم.

يخبرنا الله في القرآن أنه خلق الناس مختلفين "لتعارفوا". فقد خلق الناس أمما مختلفة ولكن كلهم سواء وجميعهم عباد الله .

وكل واحد يحسن به أن يتعرف على ثقافة الآخرين ولغاتهم وتقاليدهم وإمكانياتهم الثرية. وباختصار، فمن بين غايات خلق شعوب وأجناس مختلفة ليس النزاع والحرب بل التعدد والغنى الثقافي.

ومثل هذا الاختلاف فضل كبير من الله على خلقه . وحقيقة أن شخص أطول من الآخر أو أن بشرته صفراء أو بيضاء فهذا لا يجعله أفضل من الآخرين. وكل

سمة يمتلكها الإنسان هي في الحقيقة من خلق الله وإبداعه، ولكن عند الله ، تلك الاختلافات الشكلية لا تعني شيئا.

والمؤمن يقترب من الكمال بخوفه من الله وإيمانه به. ونرى هذه الحقيقة واضحة في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣)

وكما يعلمنا الله في هذه الآية، فإن مفهوم العدالة يتطلب المساواة والتسامح والمسالمة في تعاملنا مع الآخرين دون تمييز بينهم.

شنآنُ قوم لا يبرر ظلمهم

الكراهية والغضَب هما السبب الحقيقي لكل الشرور. وغالبا ما يمنعان الناس من اتخاذ القرار السليم والتفكير بشكل عقلاني. وبالتالي يمكن يدفعا بالإنسان إلى إيقاع الظلم بالآخرين الذين يشعر نحوهم بعداوة، وربما يتهمهم بأفعال لم يرتكبوها، أو يصدق أي شهادة زور ضدهم رغم علمه ببراءتهم.

وبناء على هذه العداوة قد يتعرض الناس لظلم لا يطاق. فبعض الأشخاص يرفضون شهادة الحق في صالح أناس يختلفون معهم رغم علمهم ببراءتهم ويخفون أدلة هذه البراءة .

وإلى جانب كل ذلك فهم يجدون سعادتهم في تعاسة هؤلاء الناس ومعاناتهم لما يلاقوه من ظلم كبير. ومن ناحية أخرى لا يريدون أبدا للبريء أن تظهر براءته.

لهذه الأسباب نجد أن الناس في المجتمعات الفاسدة لا يثقون ببعضهم البعض، ويعيشون في قلق دائم خوفا من أن يكونوا الضحايا القادمين لأناس آخرين. ومع فقدان هذه الثقة المتبادلة، يبدأ الناس في فقدان كل المشاعر الإنسانية من تسامح وتعاون وغيرها بل وينشأ الإحساس بالكراهية بينهم.

لا يجب أن تؤثر مشاعر المؤمن الشخصية على قراره نحو شخص أو جماعة معينة. ومهما يكن عداء الشخص الذي يحكم عليه أو فساده، يجب أن يترك المؤمن



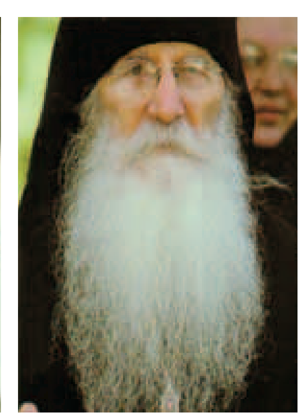
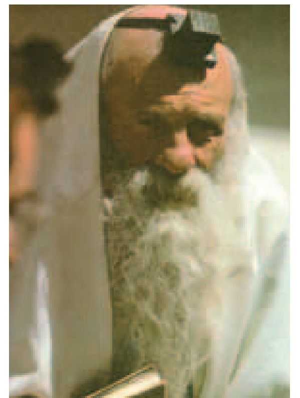
كل مشاعره الخاصة جانبا ويتصرف ويحكم في حدود العدل فحسب.

ويجب أن لا تلقي مشاعره بظلالها علي ضميره وعقله، وأن يجعل ضميره دائما هو ملهمه للانصياع لأوامر الله وأن لا يتخلى عن الاستقامة، وهذا ما أمرنا الله به في القرآن الكريم .

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامينَ لله شُهَدَاءَ بالقسْط وَلاَ يَجْرمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْم عَلَى أَلاَّ تَعْدلُوا اعْدلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨)

وكما توضح هذه الآية فان الذين يخافون الله هم الذين يمتثلون لأوامره في تحقيق العدل. ويعرف المؤمن أنه سينال رضا الله عندما يحكم بالعدل. وعندما يرى الناس حسن تصرفه وعدله يثقون به ويشعرون بالراحة في حضوره ويأتمنونه على مصالحهم وأسرارهم. ومثل هذا الشخص يحضى بالاحترام من الناس حتى من الأعداء، وربما يهدي بأخلاقه الكريمة بعض الناس للإيمان بالله.

وكما توضح هذه الآية فان الذين يخافون الله هم الذين يمتثلون لأوامره في تحقيق العدل. ويعرف المؤمن أنه سينال رضا الله عندما يحكم بالعدل. وعندما يرى الناس حسن تصرفه وعدله يثقون به ويشعرون بالراحة في حضوره ويأتمنونه على مصالحهم وأسرارهم. ومثل هذا الشخص يحضى بالاحترام من الناس حتى من


"مهما تكن عقيدة الآخرين ، مسيحي ...يهودي ... بوذي ... أو حتى هندوسي ، فإن المسلم مطالب بالتحلي بالتسامح والرحمة والعدل والإنسانية تجاه كل الناس كما أمرنا القران".

الأعداء، وربما يهدي بأخلاقه الكريمة بعض الناس للإيمان بالله.

الإسلام يدافع عن حرية الفكر

الإسلام دين يحترم حرية الفكر ووجهات النظر وأساليب الحياة المختلفة. وقد حرم النزاع والجدل وسوء الظن بالآخرين. وفي نفس الوقت يحرم الإرهاب وكل أنواع العنف، وحرم الإرهاب الفكري والنفسي :

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية : ٢١- ٢٢)

إجبار الناس على اعتناق دين معين يناقض تماما روح الإسلام وجوهره، فالإيمان الحقيقي، وفقا للإسلام، يأتي فقط من الإرادة الحرة والضمير الواعي.

وبالطبع يجب أن يوصي المسلمون بعضهم البعض بالأخذ بمبادئ وأخلاقيات القرآن. وعلى المسلم أن يدعو إلى هذه المبادئ ويوضحها ويشرحها بالحسنى وباللين واللطف وعليهم أن يشرحوا فضائل الدين مستنيرين بقوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ (الإسراء : ١٢٥)

ويجب أن نسترشد بهذه الآية:

﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ (**البقرة : ٢٧٢**)

ويجب أن لا يلجا المسلم في دعوته إلى الله إلى أي نوع من الإجبار او الضغط النفسي او الجسدي . ولا يستخدم أي إغراء دنيوي ليعتنق أي شخص الدين . وإذا لم يجد استجابة لدعوته عليه أن يرد كما وجهنا القران :

﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ (**الكافرون : ٦**)

يوجد في هذا العالم أنواع كثيرة من المعتقدات، الملحد والهندوسي والبوذي واليهودي والمسيحي والمشرك والوثني. ويجب أن يتحلى المسلمون بالتسامح تجاه كل هذه المعتقدات والديانات، ومهما يكن دين الآخرين يجب أن يتصرف المسلم تجاههم بالعدل والتسامح والإنسانية . هذه هي مسئولية المؤمنين، الدعوة إلى الله ومحاسن الأخلاق، وذلك بالحسنى والتسامح .

وتبني هذه الحقائق والإيمان بها أو رفضها فهو قرار يرجع إلى الطرف الآخر وحده. أما إجبار الآخرين على اعتناق الدين وفرض مبادئه عليهم فهو انتهاك لمبادئ وأخلاقيات القرآن. ويذكر الله المؤمنين في القرآن:

﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ (**يونس : ٩٩**)





"عام ١٤٩٢ ، طرد الملك فردناند والملكة ايزابيلا اليهود الذين رفضوا تغيير دينهم من أسبانيا. وقد استقبل هؤلاء اليهود في الدولة العثمانية التي كانت مثالا في التسامح والعدالة الدينية"

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ومَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق : ٤٥)

إن إجبار الناس في بعض المجتمعات على اعتناق عقيدة ما أو فكرة أمر يتناقض تماما مع الإسلام . ويجب أن يعبد الإنسان الله ويخافه بمحض إرادته. وتظهر القيمة الحقيقية للايمان والعبادة إذا ما مارسها الإنسان بكامل حريته ابتغاء لوجه الله سبحانه وتعالى. أما إذا فرض الحاكم العقيدة والعبادة على الناس فانهم سيمارسونها خوفا منه. ويجب أن تكون ممارسة العبادة والدين في جو من الطمأنينة والحرية وذلك لكسب رضا الله سبحانه وتعالى.

إن التاريخ الإسلامي مليء بأسماء ناصعة لحكام مسلمين تسامحوا مع جميع الأديان واحترموها، بل هم أنفسهم من أوجدوا الحرية الدينية. فعلى سبيل المثال، وصف توماس أرنولد (المبشر البريطاني لدى الحكومة الهندية) وصف علاقة الإسلام للحرية قائلا :

" لم نسمع أي شيء عن محاولة إجبار السكان غير المسلمين على اعتناق الإسلام بالقوة، ولم نسمع كذلك عن أي اضطهاد للمسيحيين. ولو أراد الخليفة المسلم أن يقضي على المسيحية في ذلك الوقت لاستطاع بغاية السهولة تماما مثلما فعل فردناند وإيزابيلا الذين أخرجا الإسلام من أسبانيا. أو مثل لويس السادس عشر الذي منع البروتستنتينية في فرنسا. أو حتى مثل طرد اليهود من إنجلترا لمدة ٣٥٠ عاما. وقد حرمت الكنائس الشرقية في آسيا تماما التواصل مع المسيحيين، في الوقت الذي لم يجد فيه هؤلاء المسيحيون من يدافع عنهم حتى من باب الغيرة على الدين. لكن بقاء هذه الكنائس إلى وقتنا الحاضر برهان في حد ذاته على الموقف المتسامح من الحكام المسلمين نحوهم"[١]

تحريم قتل الأبرياء

قتل الأبرياء بلا ذنب من أكبر الخطايا التي ذكرها القرآن الكريم:



﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة : ٣٢)

﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٨)

وكما توضح هذه الآيات، فمن يقتل الأبرياء سوف ينال عقابا عظيما ويخبرنا الله أن خطيئة قتل إنسان واحد كخطيئة قتل كل البشرية. والشخص الذي يراعي حدود الله لا يمكنه قتل إنسان آخر، فما بالنا بقتل آلاف الأبرياء. وهؤلاء الذين



توفر تعاليم الإسلام حياة مليئة بالحب
والبهجة والسلام والسعادة لجميع الناس

يعتقدون أنهم يستطيعون الهرب من العدالة والحساب في هذه الدنيا، فإنهم بالتأكيد لن ينجحوا في الهرب من حساب الله وعقابه. ولهذا السبب يحاول المؤمنون إرضاء الله بأعمالهم لأنهم يعلمون أنه سيحاسبهم عليها بعد موتهم.

الله يأمر المؤمنين بالرحمة

ذكرت مبادئ الإسلام وأخلاقياته في العديد من الآيات منها :

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (**البلد : ١٧-١٨**)

وكما توضح الآية، فإن الحث على الرحمة بالآخرين هي من أكبر الحسنات التي يُرحم بها المؤمن يوم الحساب ويدخل بها الجنة.

حب الله هو السبب الحقيقي للرحمة، فحب الإنسان لله يجعله يحب كل مخلوقات الله، ويشعر بالقرب منها. هذا الحب والقرب الشديد لله، يجعل المؤمن



"الإرهاب يجعل من المجتمع ساحة للعنف والخوف والقلق والفوضى"

يتصرف بما يرضي الله وبما يأمرنا به في القرآن الكريم. وتظهر رحمة المؤمن الحقيقية من خلال تعامله بتلك التعاليم.

وتصف هذه الآية نموذج للأخلاقيات المليئة بالحب والشفقة والتضحية:

﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور : ٢٢)

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر : ٩)

﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال : ٧٤)

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٦٠)

هذه الأخلاقيات الرفيعة التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون، تنبع من حبهم العميق لله تعالى. ولأنهم شديدوا الورع والإخلاص لله فإنهم يلتزمون بما أمرهم به في كتابه. فالمؤمنون يعطف كل منهم على الآخر ويقدمون لبعضعم البعض المساعدة دون انتظار مقابل أو حتى كلمة شكر. بل إن هدفهم الحقيقي هو كسب رضا الله بفعل الخيرات التي أمرهم بها والتي سيحاسبون عليها يوم القيامة. ويوضح الله لنا في القرآن أنه من لا يفعل تلك الخيرات مآله جهنم وبئس المصير:

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ (المدثر : ٤٢-٤٤)



"الأخلاق الإسلامية تدعو المسلمين إلى حماية حقوق اليتامى والفقراء وذوي الحاجة وأن يكون كل منهم عونا للآخر"

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الحاقة : ٣٠-٣٤)

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (الماعون : ١-٣)

﴿ وَلاَ تَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (الفجر : ١٨)

رأينا ما وُصف به المسلم في هذه الآيات من صفات مثل المحبة والرحمة. وبالطبع لا يمكن لمن يمتلك هذه الصفات أن يكون إرهابيا أو حتى يوافق على أعمال العنف التي ترتكب ضد الأبرياء. وعلى العكس تماما فإن شخصية الإرهابي لا تتوافق أبدا مع ما ذكر في القرآن من صفات. فالإرهابي شخص عديم الرحمة ينظر إلى العالم نظرة كراهية وكل ما يريده هو القتل والتدمير وسفك الدماء.

هذه الأخلاق التي ذكرها القرآن تجعل من المسلم إنسانا راقيا متحضرا. فهو يتقرب لكل الناس بالحب ويحترم كل الآراء ويحاول دائما أن يحل النزاع والتوتر أينما وجد عن طريق التفاهم مع كل الأطراف والتعامل معهم بالعدل. والمجتمعات التي يعيش فيها أناس بهذه المواصفات تنعم بحضارة راقية وأخلاق اجتماعية سامية

وانسجام وعدالة أكثر مما نراه في أكثر الأمم تقدما في وقتنا الحاضر.

الله يأمر بالعفو والمغفرة

يعتبر مبدأ العفو والمغفرة من أهم مبادئ الإسلام .

﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَاْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)

عندما نلقي نظرة على التاريخ، يمكننا أن نرى بوضوح أن المسلمين قد طبقوا هذا المبدأ العظيم من مبادئ الإسلام في حياتهم ومجتمعاتهم. وكما سنورد في الأقسام التالية من الكتاب، فالمسلمون ينشرون جوا من الحرية والتسامح في أي مكان يحلون به. تلك الحرية وذلك التسامح يوفران جوا من التعايش مع من يختلفون معهم في الدين واللغة والثقافة، وهذا ما يوفر الأمن والأمان لذلك المكان ولذلك المجتمع.

إن واحدا من أهم أسباب استمرار الخلافة العثمانية لقرون عديدة وتوسع حكمها في بلاد كثيرة، هو مناخ التسامح والتفاهم الذي أوجده الإسلام. فالمسلمون



"في المجتمعات التي تطبق فيها مبادئ الإسلام، تجتمع الجوامع والكنائس معا بسلام. هذا المنظر لثلاثة أماكن مقدسة يبين مدى التسامح الذي غرسه الإسلام في النفوس، ويبين أيضا العدل الذي يميز دين الإسلام "

الذين عرفوا على مدى قرون بطبيعتهم المتسامحة ومحبتهم للأخرين، هم دائما الأكثر رحمة وعدلا بين الناس. وكان بإمكان كل الجماعات العرقية أن تعيش بحرية وفقا لتعاليمها الخاصة بها، رغم التعدد الكبير في التركيب الاجتماعي.

عندما يمارس الناس التسامح الحقيقي كما ذكر في القرآن فإنه ينشر جوا من الأمن والأمان في العالم كله. ويذكر القرآن هذه الحقيقة:

﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤)

وصف الله المغفرة في القرآن بأنها أعلى منزلة، ويبشر الذين يتصفون بهذه الصفة بالقول:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى : ٤٠)

ووصف المؤمنين في آية أخرى :

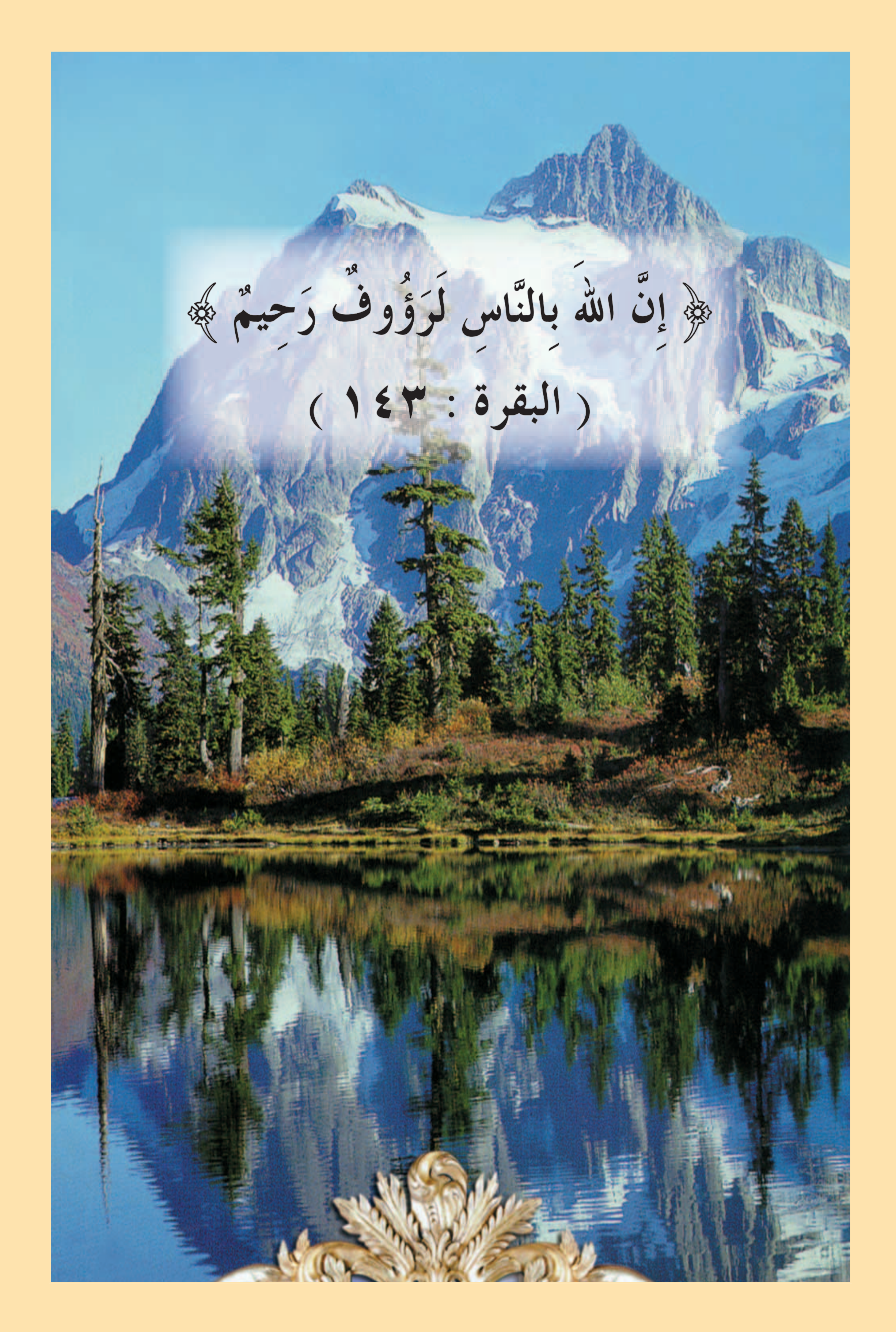
﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

ويوضح الله لنا في القرآن أن الإنسان القادر وحده هو الذي يستطيع أن يتسامح مع من أخطأ في حقه:

﴿ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ١٣)

كل هذا يبين لنا أن تعاليم الإسلام للبشرية تملأ العالم بفضائل مثل السلام والرحمة والعدالة، أما البربرية التي تعرف بالإرهاب والتي تشغل العالم كله هذه الأيام، فهي من أفعال الجاهلين والمتعصبين وتتنافى تماما مع تعاليم الإسلام المذكورة في القرآن، ومثل هؤلاء الناس ليس لهم صلة بالدين بأي شكل من الأشكال.

والحل هو أن نوضح التعاليم الحقيقية للإسلام لكي نفضح الوجه الحقيقي لهؤلاء الذين يمارسون العنف تحت ستار الدين. بمعني آخر إنّ تعاليم القرآن، والتي لا تؤيد الإرهاب، هي الحل الحقيقي للتخلص من هذا الكابوس.


﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
(البقرة : ١٤٣)



أحكام الحرب في القرآن

طبقا لما ورد في القرآن فإن الحرب أمر يضطر إليه اضطرارا :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِتَالُ وَهُوَ كرْهٌ لَكُمْ ﴾

ولا يجب أن نلجأ للحرب إلا في حالة الضرورة القصوى، ومع ذلك يجب أن يراعى فيها الجوانب الإنسانية والأخلاقية.

وتوضح هذه الآية أن الكافرين هم الذين يبدأون الحروب، ولكن الله عز وجل لا يريدها:

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ"

(المائدة: ٦٤)

الحل الوحيد. وينبغي عليهم ألا يبدأوا الحرب إلا دفاعا عن أنفسهم وعندما يصبح القتال هو البديل الوحيد:

﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٩٢)

عند النظر بتأمل دقيق في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نلاحظ أن الحرب كانت لهدف الدفاع عن النفس فقط وفي الحالات التي لا يمكن تجنبها.

استمر نزول القرآن علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمدة ٢٣ عاما، وخلال الثلاثة عشر عاما الأولى، عاش المسلمون في مكة أقلية تحت وطأة ظلم المشركين. وقد تعرض المسلمون في ذلك الوقت للتعذيب والظلم وحتى القتل، وسلبت أملاكهم وطردوا من ديارهم. وعلى الرغم من هذا تحمل المسلمون واستمروا في الدعوة إلى الله دون اللجوء إلى العنف.

وعندما تصاعد الاضطهاد بشكل لا يطاق، هاجر المسلمون إلى "يثرب" التي سميت بعد ذلك المدينة، حيث تمكنوا من تأسيس مجتمعهم الخاص في بيئة من الود والحرية. وعندها لم يلجئوا إلى الحرب ضد مشركي مكة إلا عندما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستعداد لها:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ



"مشهد حديث للمدينة المنورة التي هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وأسسوا فيها دولتهم"

أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ (الحج : ٣٩– ٤٠)

باختصار، أُذن للمسلمين بشن الحرب لأنهم تعرضوا للاضطهاد والظلم. وفي آيات أخرى يحذر الله المسلمين من اللجوء إلى العدوان:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٠)

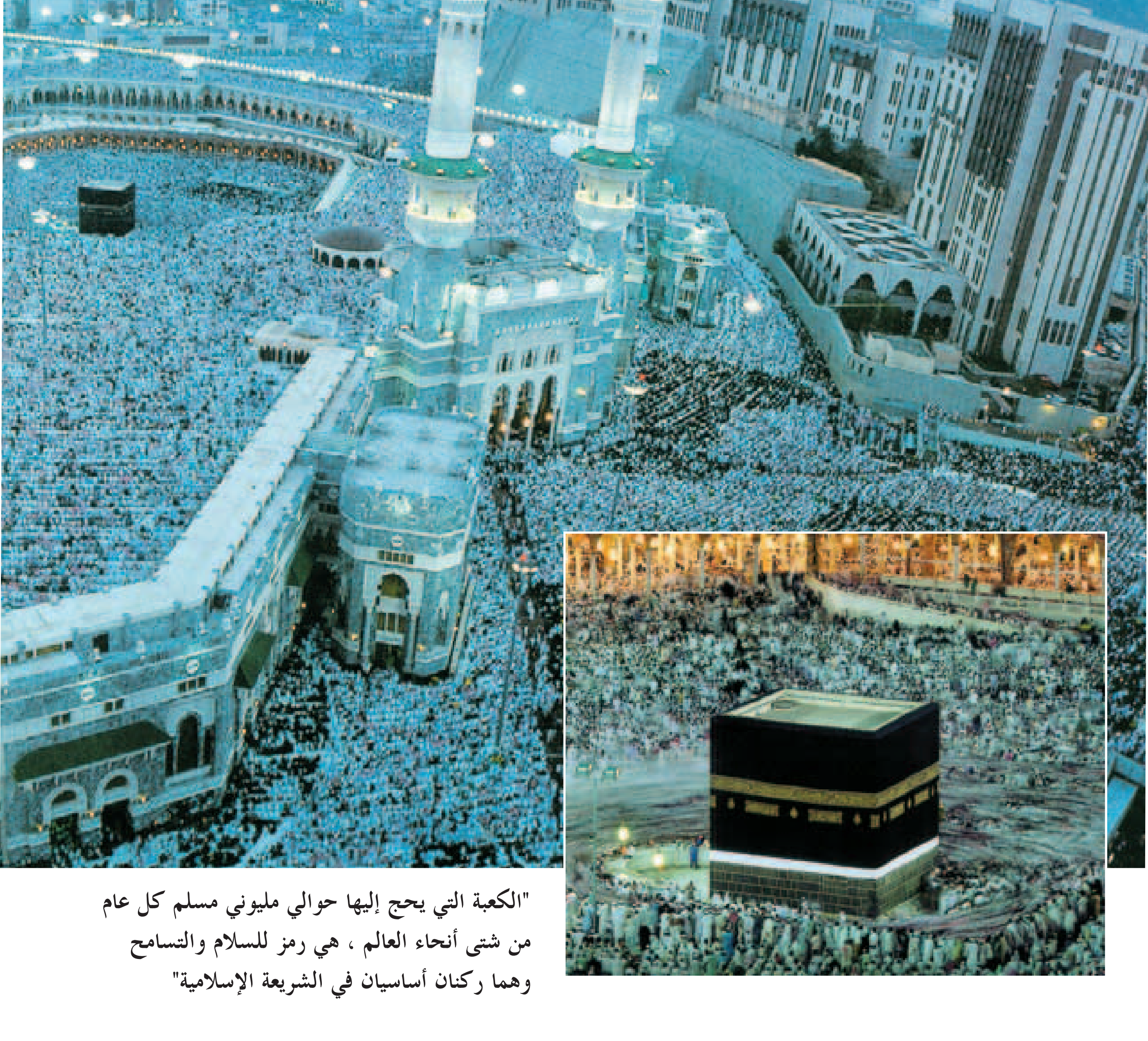
بعد نزول هذه الآيات، وقعت عدة حروب بين المسلمين والمشركين. وعلى أية حال، لم يكن المسلمون في أي من هذه الحروب هم البادئون. وقد أسس الرسول صلى الله عليه وسلم بيئة اجتماعية آمنة لكل من المسلمين والمشركين على حد سواء عن طريق صلح الحديبية، وقد التزم فيه بجميع الشروط، غير أن المشركين هم الذين انتهكوا هذا الاتفاق وبدأوا بالاعتداء.

وتغيرت الأمور وكون المسلمون جيشا عظيما دخلوا به مكة دون إراقة للدماء. ولو أراد عليه الصلاة والسلام أن ينتقم من المشركين لاستطاع ولكنه عفا عنهم ولم يؤذ أحدا منهم وعاملهم بروح الصبر والرحمة.

يقول جون اسبوسيتو المستشرق الغربي، "عندما فتح محمد مكة تجنب الثار واستخدام السيف ضد أعدائه وآثر الرحمة والعفو"[٢]

ونتيجة لموقف النبي عليه الصلاة والسلام تجاه المشركين، اعتنق الكثير منهم الإسلام بكامل حريتهم. ولم يحدث هذا خلال فتح مكة فقط، بل في جميع المعارك والفتوحات التي حدثت في وقت النبي صلى الله عليه وسلم حرص المسلمون كل الحرص على حماية حقوق الأبرياء والعزل.

دأب الرسول عليه الصلاة والسلام على حث المسلمين للتحلي بالرحمة والتسامح، وقد كان هو المثل والقدوة التي تحتذى. وقد خطب النبي عليه الصلاة والسلام في المسلمين الخارجين للحربقائلا : **"اخرجوا باسم الله فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"**[٣]



"الكعبة التي يحج إليها حوالي مليوني مسلم كل عام من شتى أنحاء العالم ، هي رمز للسلام والتسامح وهما ركنان أساسيان في الشريعة الإسلامية"

ووضع الرسول الأساسيات التي يجب أن يتبعها المسلم أثناء المعركة قائلا:

لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ولا أهل الصوامع [٤]

تتفق التعاليم التي ذكرها الله في القرآن الكريم مع سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تتميز بالمسالمة، حيث يأمر الله في القرآن المسلمين بمعاملة غير المسلمين بالرحمة والعدل :

﴿ لاَ يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ



دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ ﴾ (الممتحنة : ٨-٩)

توضح الآية السابقة كيف أن المسلم يعامل غير المسلم بالحسنى وفي الوقت نفسه عليه أن يتجنب من يظهر العداوة للإسلام . وإذا تحولت تلك العداوة إلى حرب ضد المسلمين، فعليهم أن يدافعوا عن أنفسهم مع الأخذ في الاعتبار الحفاظ على الأبعاد الإنسانية .

فالإسلام يحرم جميع أشكال العنف والبربرية، ويحذّر الله المؤمنين من الوقوع في الظلم بسبب ثورة مشاعرهم ضد أعدائهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨)

مفهوم الجهاد

في سياق هذه المناقشة هناك مفهوم لابد أن يوضح وهو "الجهاد".

تأتى كلمة "جهاد" من "جهد"، إذن الجهاد في الإسلام يعني أن تقوم بجهد أو تكافح لعمل شئ معين. وقد أوضح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن "أعظم الجهاد جهاد النفس" ويعني هنا محاربة الإنسان لنزواته ورغباته الأنانية.

ويوضح القرآن أنه يمكن أن يكون الجهاد على المستوى العقلي ضد أولئك الذين يضطهدون الناس ويظلمونهم وينتهكون حقوق الإنسان الشرعية. والغرض من هذا الجهاد هو تحقيق العدالة والسلام والمساواة.

فضلا عن هذه المعاني الأيدلوجية والروحية، فإن الكفاح على مستوي الإحساس الفيزيائي يسمي أيضا "جهادا". وعلى أية حال، وكما أوضحنا سابقا، يجب أن يكون هذا الجهاد من أجل أهداف دفاعية فقط. ومن الظلم إطلاق مفهوم الجهاد على الأعمال الإرهابية ضد الأبرياء مما يشوه المعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

تحريم الانتحار

قضية أخرى ظهرت على السطح إثر الاعتداءات الأخيرة على الولايات المتحدة الأمريكية وهي "الهجمات الانتحارية". فبعض الناس الذين شوهت أفكارهم عن الدين الإسلامي قد تأثروا تأثرا كبيرا بالتصريحات التي تدعي أن الإسلام يجيز الهجمات الانتحارية، على الرغم من أنه دين سلام يحرم قتل الإنسان لنفسه أو للآخرين. وقد وضح لنا الله عز وجل في القرآن الكريم أن الانتحار خطيئة وكبيرة من الكبائر:

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النساء : ٢٩)

ويحرم الإسلام قتل الإنسان نفسه مهما كانت الأسباب أو الدوافع.

ويحذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتكاب تلك المعصية قائلا :

"من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا " ٥

يبين لنا كل هذا أن الانتحار، أو تنفيذ هجمات انتحارية تتسبب في موت آلاف الأبرياء انتهاك لكل مبادئ الإسلام وتعاليمه.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم إن قتل الإنسان نفسه من أكبر الكبائر، لذلك فإنه من المحال على من يؤمن بالله ويلتزم بتعاليم القرآن اقتراف مثل هذه الخطيئة. أما الذين يقدمون على الانتحار مثل هؤلاء لا يدركون المفاهيم الحقيقية للدين، وليس لديهم فكرة عن مبادئ وتعاليم القرآن، والأكثر من ذلك أنهم يفشلون في تحكيم عقولهم وضمائرهم بسبب وقوعهم تحت تأثير المعتقدات الملحدة أو اندفاعهم وراء مشاعر الكراهية والانتقام.



"من أهم أسباب أعمال العنف، كالتفجيرات وإشعال الحرائق، هو خلق جو من القلق والخوف والرعب وعدم الطمأنينة بين الناس"



الرحمة والتسامح والإنسانية في تاريخ الإسلام

لكي نلخص الحقائق التي ناقشناها حتى الآن، يمكننا القول بأن الاتجاه السياسي للإسلام، بمعني آخر،(القواعد والمبادئ الإسلامية المتعلقة بالأمور السياسية) هو اتجاه محب للسلم ومعتدل إلى أبعد الحدود. وقد اعترف العديد من علماء الأديان والمؤرخين غير المسلمين بهذه الحقيقة. وأحد هؤلاء المؤرخة البريطانية كارين ارمسترونج، وهي راهبة سابقة وخبيرة في تاريخ الشرق الأوسط. و في كتابها "الحرب المقدسة" الذي يناقش تاريخ الأديان الثلاثة المقدسة، ذكرت هذه الحقائق:

"يرجع أصل كلمة "إسلام" في اللغة العربية إلى كلمة "سلام"، ويرفض القرآن الحرب باعتبارها حالة تتعارض مع إرادة الله. فالإسلام لا يجيز حرب الابادة الجماعية، ولكن يعتبر الحرب في بعض الأحيان واجبا حتميا للقضاء على الظلم والمعاناة. ومع ذلك يوضح القرآن الكريم أنه يجب أن تكون هذه الحرب محدودة وأن تدار بأسلوب إنساني بقدر الإمكان. وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقاتل ليس فقط المشركين في مكة ولكن أيضا القبائل اليهودية في مكة والقبائل المسيحية في سوريا التي تحالفت مع اليهود وخططت للهجوم

على الرسول عليه الصلاة والسلام. ولكن هذا لا يجعل من النبي عدوا لأهل الكتاب. فقد أجبر المسلمون على القتال دفاعا عن أنفسهم ولكنهم لم يقودوا حربا مقدسة ضد دين أعدائهم. وعندما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم "زيد ابن حارثة " على رأس جيش المسلمين لمحاربة المسيحيين، أوصاهم أن يحاربوا بشجاعة ولكن بإنسانية، وأن يتجنبوا إيذاء القساوسة والرهبان والضعفاء والعاجزين من الناس عن القتال، وأن لا يقتلوا المدنيين ولا يقطعوا الزرع ولا يهدموا البيوت" ٦

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حرص الخليفة أبو بكر الصديق الذي تولي أمر المسلمين على تطبيق العدالة، حتى أن المسلمين عاشوا مع سكان البلاد التي فتحوها مع السكان الوافدين في أمن وسلام. فقد طالب أبو بكر الصديق من ولاهم على هذه البلاد أن يحكموا بالعدل والرحمة. وكانت كل هذه المواقف إذعانا واتباعا لتعاليم القرآن. قبل الحملة الأولى على بلاد الشام وجه أبو بكر عدة وصايا ليزيد بن أبي سفيان قائلا:

"وإني لموصيك بعشر، لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكله ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تغلل ولا تجبن "٧

وقد كان عمر ابن الخطاب، الخليفة الثاني للمسلمين بعد أبي بكر، مشهورا بعدالته. وعقد العديد من الاتفاقيات مع السكان الأصليين للبلدان التي فتحها المسلمون. وكل واحدة من هذه الاتفاقيات تبرهن على عدالته وتسامحه. فعلى سبيل المثال، فقد ضمن الحماية للمسيحيين في القدس، ومنع هدم الكنائس ومنع المسلمون من الصلاة داخلها .

وقد ضمن عمر ابن الخطاب الحماية نفسها للمسيحيين في بيت لحم حيث أعطي وعدا للبطريرك صفرونيوس عام (٦٥٠ – ٦٦٠) بأن الكنائس لن تهدم أو تحول لدور أو جوامع . والرسالة التي كتبها البطريرك لأسقف بلاد الفرس توضح وتشرح مدي تسامح ورحمة المسلمين بأهل الكتاب :

"إن العرب الذين وهبهم الله حكم العالم اليوم، لا يضطهدون المسيحية، بل يحترمون هذا الدين ويوقرون القساوسة والقديسين ويحمون الكنائس والأديرة ."[٨]

توضح كل هذه الأمثلة الهامة تفهم المسلمون للمعنى الحقيقي للعدالة والتسامح . ومن أوامر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

(النساء : ٥٨)

الراهب تايلور، واحد من أعضاء بعثة الكنيسة الإنجيلية، وصف في أحد خطاباته جمال المبادئ الإسلامية وأخلاقياتها قائلا:

"لقد وضع الإسلام القواعد الأساسية للدين وهي وحدانية وعظمة الله الرحيم الذي يدعو لطاعته والتوبة والإيمان. وقد حدد مسئولية الإنسان التي سيحاسب عليها يوم الدين وهي أن يبتعد عن ارتكاب المعاصي ويؤدي ما عليه من واجبات الصلاة والزكاة والصيام والصدقة، وأن يتجنب الرياء والنفاق والجدال في الدين، وقد أعطى هذا الدين الأمل للبشرية وحدد الملامح الأساسية للطبيعة الإنسانية ."[٩]

وقد كذب الباحثون الغربيون بقولهم بأن الإسلام انتشر بحد السيف في البلدان التي فتحها المسلمون بل أكدوا على عدالة وتسامح المسلمين في هذه البلاد، ومنهم الباحث الغربي "براون" الذي علق على هذه القضية قائلا:

"هذه الفكرة الراسخة بأن المسلمين أجبروا الناس على اعتناق الإسلام بحد السيف ما هي إلا أفكار نشرها الكتاب المسيحيون "ويستمر "براون" قائلا في كتابه "تطلعات الإسلام" "إن الهدف الحقيقي وراء فتوحات المسلمين كان إخاء الإسلام . فالحكام الذين حكموا البلاد المسلمة علي مدي التاريخ كانوا يعاملون أصحاب الديانات الأخرى بكل تسامح واحترام. وفي داخل حدود هذه الدول الإسلامية عاش كل من المسيحيين واليهود في أمان متمتعين بالحرية الكاملة "[١٠]

البروفيسور "جون اسبوسيتو" ، أستاذ الدين والعلاقات الدولية بجامعة جورج تاون ، شرح مدي التسامح الذي وجده اليهود والمسيحيون في ظل الحكم الإسلامي:

"برهنت الجيوش المسلمة علي قدرتها الهائلة على فتح البلاد والحكم الفعال وأنها تبني ولا تدمر. فقد احتلوا مكان الحكام والجيوش الأصلية للبلدان المفتوحة مع الحفاظ على الكثير من موظفيهم وسياستهم وثقافتهم. وفي العديد من المناطق المفتوحة لم يتجاوز الأمر أكثر من تبديل الحاكم من أجل تهدئة الناس البائسة والثائرة من الضرائب التي فرضها هؤلاء الحكام خلال سنوات الحرب الفارسية البيزنطية . وخلال الحكم الإسلامي كانت الجماعات المحلية تمارس حياتها وشئونها الداخلية بطريقتها الخاصة وبحرية تامة . وبكل



"القدس التي حكمها المسلمون لفترات طويلة من الزمن، تعاني الآن من الحرب والصراع بدلا من الأمن والتسامح "

المعاني فقد وجد السكان الاصليون مرونة وتسامحا من الحكام المسلمين لم يعهدوهما في البيزنطيين أو الفرس.أما الجماعات الدينية فكانت تمارس عقائدها بمنتهى الحرية وقد حكمها زعمائها بقوانينهم الخاصة والمتعلقة بأمور الحياة مثل الزواج والطلاق والميراث . وفي المقابل طلب منهم دفع الجزية كضريبة لحمايتهم والدفاع عنهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية . وقد نتج عن ذلك ضرائب أقل ، وحكم ذاتي محلي، ومزيدا من الحرية الدينية لليهود والأهالي والمسيحيين، وحكمهم الساميين الذين هم اقرب إليهم من حيث اللغة والثقافة اكثر من الإغريق، وهم نخبة كاثوليك بيزنطة . اضطهد الأرثوذكس المسيحيون الأقباط و معظم الكنائس المسيحية باعتبارهم زنادقة. لهذا السبب ساعد كل من المسيحيين واليهود الجيوش المهاجمة باعتبارها أقل ظلما من سادتهم الأباطرة. وحقيقة فقد كونت تلك الفتوحات قبلة إسلامية في المناطق المنيعة المحصنة ."[11]

كفل الإسلام حقوق النساء، تلك الفئة التي انتهكت حقوقها كثيرا قبل الإسلام. وقد علق "بيرنارد لويس"، وهو واحد من أهم الخبراء الغربيين في الشرق الأوسط ، قائلا :

"بوجه عام، تحسنت أحوال المرأة بظهور الإسلام وانتشاره في البلدان العربية . حيث وهبهم حقوق الملكية إلى جانب بعض الحقوق الأخرى. وكفل لهم الحماية من سوء معاملة الأزواج وأولياء الأمور. وقد منع الإسلام وأد البنات الذي كان منتشرا في جزيرة العرب عند المشركين . ومن ناحية أخرى لم يتحسن وضع النساء في نواحي أخرى منذ أن فقدت رسالة الإسلام دوافعها وتأثرت بالعادات والتقاليد الاجتماعية التي وضعها البشر ."[12]

"تميز عهد السلاجقة الأتراك وعهد العثمانيين بالعدل والتسامح، وكان للإسلام الفضل في ذلك. يوضح الباحث البريطاني "توماس أرنولد" في كتابه "انتشار الإسلام في العالم" رغبة المسيحيين في خضوعهم لحكم السلاجقة الأتراك للأسباب

التالية:

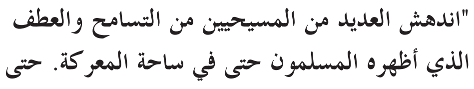
"الإحساس بالأمن في ظل الحكم الإسلامي جعل مسيحيي آسيا الصغرى يرحبون بحكم السلاجقة الأتراك المسلمين. وفي عهد "مايكل الثامن" (١٢٦١ – ١٢٨٢) طلب الأهالي من الأتراك أخذ ملكية المدن الصغيرة وذلك هربا من استبداد الإمبراطورية، وعندها هاجر الأغنياء والفقراء إلى المناطق التي تقع تحت حكم وسيادة الأتراك المسلمين. "١٣"

وقد تقرب مالك شاه، حاكم إمبراطورية السلاجقة خلال أوج ازدهارها من سكان البلاد المفتوحة بواسطة التسامح والرحمة، ولذلك فقد ذكروه وتحدثوا عنه بكل الحب والاحترام. ويشير جميع المؤرخين المحايدين في أبحاثهم إلى عدالة هذا الشاه وتسامحه. وقد امتلأت قلوب أهل الكتاب بالحب والود تجاه هذا الحاكم. ولهذا السبب فقد خضعت العديد من المدن لحكم الشاه مالك بإرادتها الحرة، وهذا ما يندر وقوعه هبر التاريخ.

وقد ذكر القس "اودو دي ديوجيلو" الذي شارك في الحملة الصليبية الثانية بصفته القس الخاص بلويس السابع، ذكر في مذكراته التعامل الذي أظهره المسلمون تجاه الآخرين بغض النظر عن الدين أو العقيدة.







"اندهش العديد من المسيحيين من التسامح والعطف الذي أظهره المسلمون حتى في ساحة المعركة. حتى انهم أظهروا إعجابهم بسيرتهم. ونرى في هذه الصورة تدشين الحملة الصليبية الثانية بواسطة لويس السابع".

واستنادا إلى مذكرات "أودو دي ديوجيلو"، كتب توماس أرنولد: "أما حالة الناجين من الحرب فقد كانت بائسة جدا. وتأثر المسلمون لحالتهم وأظهروا نحوهم الرحمة والشفقة. فقد خدموا مرضاهم وأطعموا الفقراء والمساكين منهم وعاملوهم بتسامح وكرم. وعندما حصل المسلمون على الأموال التي استولى عليها اليونانيون من المهاجرين بالقهر والخداع وزعوها على المحتاجين. ومما يثير العجب التناقض في المعاملة، فقد عامل المسلمون هؤلاء المهاجرين معاملة ملؤها الرحمة والشفقة، بينما لم يجدوا من إخوانهم في الدين سوى القسوة والغلظة. فاليونانيون هم الذين أجبروهم على العمل بالقوة وعذبوهم واستولوا حتى على القليل الذي يملكونه. وهكذا اعتنق العديد من هؤلاء المهاجرين الإسلام بكامل حريتهم وإرادتهم.

ويقول "أودو دي ديوجيلو" في مذكراته: "نفروا من إخوانهم في الدين الذين أظهروا القسوة نحوهم وانضموا إلى الكفرة الذين عاملوهم بالرحمة (يقصد المسلمين) . وكما سمعنا فإن أكثر من ثلاثة آلاف شخص لحقوا بالأتراك عندما تراجعوا "[١٤]

تكشف أقوال واعترافات المؤرخين أخلاق الحكام المسلمين الذين تبنوا المبادئ الأخلاقية الحقيقية للإسلام وحكموا بالتسامح والرحمة والعدل. وبنفس الطريقة، فقد ذكر التاريخ الدولة العثمانية التي حكمت في ثلاث قارات لعدة قرون، وهناك العديد من شواهد التسامح والرحمة في حكمهم.

إن الطريقة التي استقبل بها اليهود في الدولة العثمانية خلال حكم السلطان بايزيد الثاني، وذلك بعد تعرضهم للذبح والنفي على يد الملوك الكاثوليك في أسبانيا والبرتغال، هي أحسن مثال على رحمة الإسلام وعظمته.

فقد تعرض اليهود الذين عاشوا في ظل الحكم الإسباني في الأندلس في فترات سابقة إلى ظلم لا يحتمل من الملوك الكاثوليك الذين حكموا مناطق عديدة من أسبانيا. بينما كان من الممكن أن يعيش كل من المسلمين والمسيحيين واليهود جنبا إلى جنب في سلام، وبالرغم من ذلك فقد أجبر الملوك الكاثوليك السكان على



"انتهي حكم المسلمين في أسبانيا عام ١٤٩٢ عندما دخلت جيوش الملك فرنناند والملكة ايزابيلا إلى غرناطة. وتوضح هذه الصورة استسلام المدينة."

اعتناق المسيحية وأعلنوا الحرب على المسلمين واضطهدوا اليهود أيضا.

ونتيجة لذلك فقد أزيح الحكم الإسلامي من آخر منطقة وهي غرناطة في جنوب أسبانيا عام ١٤٩٢ م ، وتعرض المسلمون لمذابح مروعة ونفي اليهود الذين رفضوا تغيير دينهم.

طلب مجموعة من اليهود المشردين بلا وطن اللجوء إلى الإمبراطورية العثمانية، فسمحت لهم بذلك. وقد أحضر الأسطول العثماني بقيادة كمال ريس اليهود المنفيين والمسلمين الذين تعرضوا للمذابح إلى الأراضي العثمانية.

وقد ذكر التاريخ أن السلطان بايزيد الثاني من أكثر حكام آل عثمان تقوى وورعا. وفي ربيع عام ١٤٩٢ استقر اليهود الذين ظلموا وطردوا من أسبانيا في أجزاء من الدولة مثل "أدرنه" و"سالوينكا" التي توجد حاليا في اليونان. والغالبية العظمى من الخمسة وعشرين ألف يهودي الذين يعيشون في تركيا الآن هم أحفاد هؤلاء اليهود الأسبان. وقد تكيفوا بدينهم وعادتهم التي جلبوها معهم من أسبانيا منذ حوالي ٥٠٠ عام مع واقع الحياة التركية، ومارسوا العبادة بكل حرية وأمان، ولهم مدارسهم ومستشفياتهم وجمعياتهم ودور العجزة الخاصة بهم. ومنهم أيضا التجار





"كان السلطان بايزيد الثاني الحاكم المسلم قد رحب باليهود الذين هربوا من الاضطهاد الأسباني وكفل لهم حرية العبادة على الأرض المسلمة."

ورجال الأعمال ويوجد من يمثلهم في كل مهنة بداية سواء في المجالات التقنية أو في الدوائر الثقافية .

عاشت الجماعات اليهودية في خوف من الهجمات ضد السامية في البلاد الأوربية ولعدة قرون، بينما عاشوا في تركيا بأمن وسلام . ويكفي هذا المثال وحده لإثبات التسامح والعدل الّذيْن أوصى بهما الإسلام.

الرحمة والتسامح والأخلاق الكريمة التي أظهرها السلطان بايزيد الثاني تميز جميع السلاطين العثمانيين. فعندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سمح لليهود والمسيحيين بالعيش بحرية تامة.

كتب "اندر ميكول" صاحب العديد من الأعمال القيمة، عن فضائل الإسلام قائلا:

"وقد عاشت الجماعات المسيحية تحت حكم عادل لم تتمتع به خلال الحكم البيزنطي اللاتيني، بل إنهم تعرضوا للاضطهاد على يد إخوانهم. وفي المقابل أصبحت الإمبراطورية العثمانية وخاصة اسطنبول مأوى لليهود الأسبان المضطهدين. ولم يجبر الناس على اعتناق الإسلام، ولكن انتشار الإسلام جاء نتيجة طبيعية للتطورات الاجتماعية ."[١٥]

وكما يتضح من هذه الحقائق، لم يكن المسلمون ظالمين في أي فترة من فترات



"كان فتح السلطان محمد الفاتح لاسطنبول عهدا جديدا يتميز بالحرية لليهود والمسيحيين الذين تعرضوا للظلم عدة قرون على يد الحكام الرومان والبيزنطيين."

التاريخ . بل إنهم رسخوا قيم السلام أينما ذهبوا مع كل البلاد والعقائد وسلكوا سلوكا طيبا تجاه كل الناس، والتزموا بقول الله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾

(النساء : ٣٦)

وباختصار فإنّ الصداقة والأخوة والسلام والحب هي القواعد الأساسية للمبادئ والأخلاقيات القرآنية التي يحاول المسلمون التمسك بها.

(لمزيد من التفاصيل انظر: كتاب هارون يحيى "العدل والتسامح في القرآن")



"منح السلطان محمد الفاتح العديد من الامتيازات للبطريرك، فقد تمتع بالاستقلال لأول مرة في التاريخ وذلك تحت الحكم التركي. ونرى في الصورة السلطان محمد الفاتح يستقبل البطريرك. "


﴿ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَمْ يلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ
لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾
(الأنعام : ٨٢)



الوجه الحقيقي للإرهابيين الذين يتصرفون باسم الدين

تكشف كل هذه الأمثلة أن أعمال العنف المنظمة ضد الأبرياء لا تتفق مع الإسلام أبدا وأنه من غير المعقول أن يرتكب أي مسلم مثل هذه الجرائم. وعلى العكس فالمسلمون مسؤولون عن منع هؤلاء المخربين وإزالة الشر من الأرض وإحلال السلام والأمن لكل الناس في كل مكان.

وليس من اللائق أن نتحدث عن "الإرهاب المسيحي" أو "الإرهاب اليهودي" أو "الإرهاب الإسلامي" . فبالتأكيد إذا بحثنا في خلفية هؤلاء الإرهابيين سنجد أن الإرهاب ظاهرة اجتماعية وليست دينية.

الصليبيون : بربر يدنسون دينهم

تشوه أحيانا الرسالة الحقيقية لدين أو نظام عقائدي من قبل تابعيه أنفسهم. فالصليبيون ، الذين مثلوا حلقة مظلمة في التاريخ المسيحي ، مثال لهذا النوع من التشويه.

الصليبيون هم مسيحيون أوروبيون بدءوا في نهاية القرن الحادي عشر في إرسال بعثات لاستعادة الأرض المقدسة من المسلمين (فلسطين وما حولها)، وادعوا أن حملتهم لهدف ديني، وبالرغم من ذلك فقد خربوا كل شبر من الأرض نزلوا به ونشروا الخوف أينما ذهبوا. اعتدوا على المدنيين الذين وجدوهم في طريقهموقتلوهم وسلبوا العديد من القرى والمدن، وأصبح دخولهم للقدس، حيث عاش المسلمون والمسيحيون واليهود في سلام تحت الحكم الإسلامي، مشهدا مروعا ومنظرا يثير الاشمئزاز، كما ذبحوا المسلمين واليهود في المدينة بلا رحمة.

وقال احد المؤرخين واصفا ما حدث: "قتلوا كل من وجدوه من العرب والأتراك... رجالا ونساء"[١٦]

يمدح أحد الصليبيين ويدعى "رايموند "هذه الأفعال قائلا :

"رأينا مشاهد رائعة، فبعض رجالنا (وكان هذا الأكثر رحمة) قطعوا رؤوس أعدائهم، والبعض الآخر ضربوهم بالسهام وهكذا أسقطوا من أبراجهم، وآخرون عذبوهم أكثر بإلقائهم في النار. وكنا نرى في شوارع المدينة أكوام الأشلاء والجثث الممزقة. ولكي تستطيع السير في أحد الطرقات كان لابد من السير فوق جثث الرجال والخيول. ولكن كل هذه الأمور لا تذكر إذا ما قورنت بما حدث في هيكل سليمان، حيث كانت تقام الشعائر الدينية، لقد غرق الناس في الدماء حتى غطت الأقدام وبلغت إلأى لُجُم الخيول .[١٧]

وفي خلال يومين، قتل الجيش الصليبي حوالي أربعة آلاف مسلم بوحشية وبربرية لا مثيل لها. [١٨]

خلال الحملة الصليبية الرابعة زادت همجية الصليبيين حيث سلبوا القسطنطينية



"في القدس وتحت الحكم الإسلامي عاش كل من المسلمين والمسيحيين واليهود في سلام كامل. وعندما احتل الصليبيون القدس قاموا بالعديد من المذابح المروعة. وكلما احتلوا المزيد من المدن، استمروا في قتل المدنيين أينما ذهبوا."

(استنبول حاليا) وهي مدينة مسيحية، وسرقوا الأشياء الذهبية من الكنائس .

بالطبع، كانت كل هذه الهمجية ضد الديانة المسيحية، فالمسيحية في الإنجيل هي "رسالة محبّة". وورد في إنجيل متّى أن عيسى عليه السلام قال لأتباعه :

﴿ احبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ﴾ (متى، ٤٢ :٥)



" في الثاني عشر من سبتمبر عام ١٢٠٤ دخل الصليبيون القسطنطينية، وكان يسكنها المسيحيون وطردوهم ونهبوا المدينة، وسرقوا الذهب الذي كان موجودا في الكنائس."

وجاء في إنجيل لوقا قال: عيسى عليه الإسلام

﴿ من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ﴾ (لوقا ، ٢٩ : ٦)

ولا يوجد في أي نص من الإنجيل إشارة إلى شرعية العنف. فمن المستحيل تصور قتل الأبرياء، ولا نجد هذه الكلمة في الإنجيل إلا في قصة الملك هيرودس الذي حاول قتل عيسي وهو رضيع.

إذا كانت المسيحية دينا يرتكز على المحبة وليس العنف، فكيف للصليبيين المسيحيين أن يقوموا بأكثر الأعمال عنفا في التاريخ ؟ ربما يرجع السبب الرئيسي إلى خداع قادة الصليبيين للناس البسطاء الذين أحسن ما يوصفون به أنهم "الغوغاء" أو "الرعاع".هذه المجموعات التي ربما لم تعرف شيئا عن دينها، والتي من المحتمل أنها لم تقرأ أو حتى لم تر الإنجيل ولو مرة واحدة في حياتها. قادت تلك المجموعات هجمات تحت شعار "حرب الصليب" التي تمثل إرادة الله.

هذا الاحتيال على الدين شجع الكثيرين على ارتكاب الجرائم التي حرمها الدين بشكل كامل.

ومن الجدير بالذكر أنه في تلك الفترة، تمتع المسيحيون الشرقيون، كأهل بيزنطة على سبيل المثال بقيم أكثر إنسانية من المسيحيين الغربيين الذين كانوا بعيدين كل البعد عن ثقافتهم. فقد استطاع المسيحيون الأرثوذكس العيش مع المسلمين في سلام سواء قبل الغزوات الصليبية أو بعدها.

يقول المعلق تيري جونيس في إذاعة الـــ بي بي سي : "بانسحاب الصليبيين من الشرق الأوسط عادت الحياة الهادئة من جديد واستطاع أصحاب الديانات التوحيدية الثلاث التعايش معا في سلام . "[١٩]

إن مثال الصليبيين دليل على ظاهرة عامة، فالأكثر اتباعا لأفكار غير متحضرة وجاهلة ثقافيا هم الأكثر ميلا للعنف. وهذا أيضا دليل آخر على أن الدين لا علاقة له بالعنف. فالحركات الشيوعية في كل مكان في العالم تميل إلى العنف. وما زال هناك أقوام آخرون يتميزون بالوحشية والعنف وسفك الدماء مثل الخمير الحمر في كمبوديا، وذلك لأنهم على درجة كبيرة من الجهل.

طبيعة البدو في القرآن

منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كان البناء الاجتماعي في بلاد العرب يتكون من مجموعتين، سكان المدن والبدو (عرب الصحراء). و ساد تراث مركب ومتحضر في بلاد العرب. وقد ربطت العلاقات التجارية بين المدن والعالم الخارجي مما ساهم في تحسين سلوك عرب المدن، فقد اكتسبوا قيما جمالية رفيعة وتمتعوا بالحس الأدبي وخاصة الشعر. من ناحية أخرى عاش عرب الصحراء في قبائل بدوية منتشرين في البادية وغفلوا عن الفنون والآداب وتكونت لديهم شخصية غير متطورة.

وظهر الإسلام وانتشر في مكة المكرمة، وهي أهم المدن في الجزيرة العربية. وبعدها انتشر إلى باقي شبه الجزيرة واعتنقته كل قبائل بلاد العرب . وكانت من بين هذه القبائل عرب الصحراء الذين تميزوا منطوين على انفسهم، فبيئتهم الفقيرة وبساطة تفكيرهم منعتهم من إدراك نبل روح الإسلام وعمقه، يقول الله تعالى عنهم:

﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٩٧)

إن عرب الصحراء، تلك الفئة الاجتماعية التي كانت " الأسوأ في الجحود والنفاق" والأكثر عصيانا لأوامر الله، أصبحت جزء من العالم الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وأصبحت بعد ذلك مصدر المشاكل للدعوة الإسلامية . وأوضح مثال على ذلك طائفة (الخوارج) التي ظهرت من بين البدو.

الهمجية والتعصب هي السمات التي تميز هذه الفئة المتطرفة التي سميت بـــ"الخوارج" أو الثوار لأنهم ابتعدوا بشدة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهؤلاء الخوارج الذين كانت معرفتهم بالإسلام وفضائله وأخلاق القرآن معرفة منقوصة،شنوا حربا ضد جميع المسلمين الآخرين استنادا إلى بعض الآيات القرآنية التي فسروها تفسيرا خاطئا. وعلاوة على ذلك فقد ارتكبوا أبشع أعمال الإرهاب واغتالوا الإمام علي كرم الله وجهه أحد أقرب المقربين للرسول عليه الصلاة والسلام، وقد وصف بأنه بأنه "باب مدينة العلم".

وظهرت فيما بعد طائفة أخرى سميت بـــ "الشيعة"، وذلك نتيجة للجهل والتعصب وعدم الفهم المتعمق لجوهر الإسلام مما جعلهم أسهل تأثرا بالوعود والشعارات الداعية للحرب.

بمعني آخر، كما حرف الصليبيون وأساؤوا فهم المسيحية وحولوها إلى تعاليم للعنف، كذلك ظهرت بعض الجماعات المنحرفة في العالم الإسلامي أساءت فهم الإسلام ولجأت إلى العنف. والصفة المشتركة بين الصليبيين وهذه الجماعات هي "الطبيعة البدوية". ولذلك فقد اتصفوا بالجهل وعدم النضج وعدم الفهم لجوهر الدين الحقيقي. ولذا فلجوؤهم للعنف ناتج عن جهلهم وعدم فهمهم لدينهم. ولذلك فإن تنفيذ الأعمال الإرهابية ضد مدنيين أبرياء في دول أخرى بزعم أنها تمثل (البلاد الظالمة في العالم) لا يتفق والإسلام في شيء.

"في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان البدو قبائل متنقلة في الصحراء. وقد ورثتهم هذه الحياة الصعبة التي عاشوها نوعا من الثقافات الجافة والطباع القاسية".





هدف الإرهابي الوحيد أن يدمر بلا رحمة

يُعرف كلٌّ من مايكل باكيونين وتلميذه نيتشايف (وهما من زعماء الثورة الروسية) الإرهابي الحقيقي بالقول:

"الفعل الحقيقي للثوري ليس فقط بالكلمات ولكن بالأفعال، وشن الحرب على قوانين المجتمع الموجودة وكل ما يسمى بالعالم المتحضر بقوانينه وأخلاقياته وعاداته. والثوري شديد التمسك بمبادئه، وهو لا يعرف إلا شيئا واحد فقط وهو التدمير " نشر هذا المقال بصحيفة الإنذار، من كتاب باكيونين (أساس الثورة الاجتماعية) ، ٢٦ ديسمبر ١٨٨٥، ص.٨

وكما نفهم من كلمات باكيونين ونيتشايف، فإن الإرهابيين هم أناس قطعوا علاقاتهم مع جميع الأعراف المادية والروحية وهم يرفضون كل القيم الأخلاقية، وينظرون إليها على أنها عائق أمام تحقيق أهدافهم.

وقال باكيونين أيضا :"يكون الثوري مشغولا ليله ونهاره بالتفكير في شيء واحد وهو الدمار بدم بارد بلا رحمة أو هوادة. ولتحقيق هذا الهدف يجب أن يتوقع الثائر الموت في أية لحظة وأن يكون على أهبة الاستعداد لقتل أي إنسان يحاول إحباط أهدافه".

ويصف ما يجب أن يكون عليه الإرهابي في كتابه "أساس الثورة الاجتماعية" :"يجب ان يكون الثوري صارما مع نفسه ومع الآخرين، ويجب أن يقمع كل مشاعر الضعف في علاقات الحب والصداقة والمودة وأن يولع فقط بالعمل الثوري".

تعرف هذه الكلمات الوجه المظلم للإرهابي وتوضح مخالفته التامة للإسلام الذي يؤكد على قيم السلام والتسامح والمحبة. وفي هذه الآية، يوضح الله عز وجل أن الإسلام هو المنقذ الحقيقي للإنسانية وأن اتباع نزوات الحرب والنزاع هي اتباع لخطوات الشيطان:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

(البقرة : ٢٠٨)



التأثير الجماعي للإرهاب

ومما يميز الإرهابيين أيضا أنهم يتصرفون في شكل جماعات، وهذا ما يترتب عليه تجاهل الأفكار الفردية والاختيارات الشخصية للأفراد الذين يوجهون نحو هدف واحد. هؤلاء الذين يتصرفون في إطار الروح الجماعية، ربما يفعلون أشياء لا تقبلها عقولهم ويرتكبون أفعالا بغير إرادتهم ولا وعيهم. ففي العديد من بلدان العالم، تتكون جماعات الإرهاب من أشخاص جهلة أغبياء ينفعلون بهستريا الشعارات ونداءات الحرب التي تطلق في الاجتماعات الحاشدة حتى بدون أن يعرفوا ماذا يفعلون ولماذا يفعلونه، وهكذا وبالتدريج يشتركون مع مجموعات في ارتكاب أعمال وحشية.

وفي لحظة واحدة يتحول هؤلاء الأشخاص إلى قتلة تلطخ أياديهم الدماء، وإلى إرهابيين قادرين على ارتكاب أفعال لا إنسانية. ربما يظهر على مثل هذا الشخص الهدوء والسكينة عندما يكون وحيدا، ولكن إذا ما انضم إلى أحد الجماعات الإرهابية يصبح قادرا على القتل وافتعال الحرائق دون سبب ظاهر.

تظهر هذه الأعراض على الأشخاص الذين يرغبون في التخلص من حياتهم لسبب شخصي، وأغلب هؤلاء الذين يشاركون في أعمال العنف، تكون إرادتهم وضمائرهم ضعيفة، ويساقون كالأغنام تحت تأثير هذه المجموعات. وهكذا يستبدلون الإحساس والشعور الطيب بكراهية مفرطة وميل نحو العنف والعدوان.

ومثل هؤلاء يمكن التأثير عليهم وإثارتهم بسهولة وهم لا يعترفون بأي قيود يضعها القانون.

أشار القرآن الكريم إلى خطإ الوقوع في الانحراف الجماعي ووضح أنه يجب على الإنسان أن يتصرف طبقا لإرادته وبوعيه الكامل :

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾

(الإسراء : ٣٦)

أحد أسباب الإرهاب :تعصب العالم الثالث

تساعدنا مثل هذه الأمثلة من التاريخ على فهم أفضل لهذه الظاهرة الحالية، التي تسمى "الإرهاب الإسلامي" والتي تحتل الأولوية في الأجندة العالمية خلال هذه الأيام . وذلك لأن الذين ينفذون تلك الأعمال الإرهابية، يفعلونها باسم الدين، ومن يدعمونها يمثلون فئة قليلة في العالم الإسلامي. وكما ذكرنا في الحديث عن البدو سابقا فإن الإسلام في حد ذاته ليس هو السبب. فالذين يفشلون في فهم جوهر الدين الذي يدعو في الحقيقة إلى السلام والعدالة، يجعلونه أداة للعنف، والسبب في هذا وبكل بساطة هو الظروف الاجتماعية والتربية الثقافية. وأصل هذه البربرية التي تسمى "تعصب العالم الثالث" هو بعض التصرفات غير المسئولة لأشخاص يتجردون من حب البشر.

وفي الحقيقة، تعرض المسلمون في خلال القرون القليلة الماضية وفي كل مكان من العالم للعنف من قبل الجهات الغربية وحلفائها . وقد دعمت الدول الأوروبية الاستعمارية سياسة الاستعمار الظالم في الوطن العربي (مثل إسرائيل) والتي يعاني منها كل المسلمين . أما بالنسبة للمسلمين فإن عدم اللجوء للعنف كأسلوب للرد هو ما دعاهم الله إليه في القرآن الكريم :

﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤)

ومما لا شك فيه أن للمسلمين الحق الشرعي في الرد على هذا العدوان. وعلى أية حال لا يجب أن تتحول ردود الفعل إلى كراهية عمياء أو عداوة ظالمة. ويحذر الله من ذلك قائلا :

﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة : ٢)

ومما يستحق الذكر أننا لا يمكن أن نحمل كل الدول والمجتمعات الغربية وزر العنف والظلم الذي يتعرض له المسلمون. وفي الحقيقة، إن الفلسفات والمعتقدات المادية الملحدة التي سادت بصفة رئيسية في القرن التاسع عشر هي المسئول الأول عن تلك الأعمال المحزنة. فالسياسة الاستعمارية الأوروبية لم تنشأ من المسيحية بل على العكس تماما فإن الحركات المعادية للدين التي تعارض القيم المسيحية هي التي إلى تلك السياسة الاستعمارية. وتعتبر أيدلوجية داروِن الاجتماعية السبب الرئيسي للوحشية التي سادت في القرن التاسع عشر. وما زالت توجد في الغرب حتى اليوم القسوة ومحاربة القيم جنبا إلى جنب مع الثقافة التي تحكمها المسالمة والعدل التي تستمد جذورها من المسيحية. وفي واقع الأمر فالخلاف الرئيسي ليس بين الغرب والإسلام، بل على النقيض مما هو سائد، فالخلاف هو بين مسيحيي الغرب والمسلمين من ناحية والذين يعارضون الدين من ناحية أخرى مثل "الماديين ، والملحدين، والداروينيين ....".

وهناك نقطة أخرى جديرة بالذكر وهي أن التعصب في العالم الثالث لا يرتبط بالإسلام، فحتى أوقات قريبة رأينا هذا التعصب مرتبطا بالأيدلوجية الشيوعية. وكما هو معروف فقد نفذت العديد من أعمال العنف المعادية للغرب في الأعوام ما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ وقد دعمتها المنظمات الشيوعية السوفيتية. ونتيجة لانهيار الشيوعية في العديد من المجتمعات التي كانت تتبناها، حولت تلك المجتمعات اهتمامها إلى الإسلام. وهذا العنف الذي ارتكب باسم الدين والذي صاغت أدبياته االاتجاهات الشيوعية السابقة لتتفق بعض الشيء مع مفاهيم ونصوص الإسلام، هو في الحقيقة ضد قيم الدين وأخلاقه وجوهره.

ملاحظة أخيرة يجب أن تذكر حول هذه القضية، وهي أن الإسلام لا يخص أمة معينة أو منطقة جغرافية محددة. بل على عكس ما يعتقده العالم الغربي المسيطر، فالإسلام ليس "ثقافة شرقية". الإسلام هو آخر الأديان أنزله الله للناس كافة ليهديهم إلى سواء السبيل. والمسلمون هم المسؤولون عن توضيح مفاهيم الدين الحقيقية لكل



التسبب في
الخوف والألم للمجتمع هو نوع من أنواع الإرهاب

واحدة من أهم خصائص الإرهاب هي أنه يختار أهدافه بشكل عشوائي.
ومن أهم أسباب انتشار الخوف هي أن الإرهاب يتخذ قراره دون أن يميز أهدافه، حتى لا يشعر أحد بأنه آمن. إذا ما توقع الناس أنهم أهداف محتملة وبلا ذنب، فإن أحدا لن يشعر بالأمن أو البعد عن هؤلاء الإرهابيين. وهؤلاء الذين يعتبرن هدفا محتملا لا يستطيعون حماية أنفسهم، حيث أن الإرهابيين يتصرفون طبقا لمفاهيمهم الخاصة، ويختارون المكان والزمان بما يناسبهم. مثل هذه الأعمال تكون بشكل اعتباطي وغير متوقع في المجتمع.

"تهاجم المنظمات الإرهابية أهدافها بشكل عشوائي مما يعني قتل الأبرياء وجرحهم. مثال على ذلك الهجوم بغاز الأعصاب في مترو طوكيو في ٢٠ مارس ١٩٩٥"

الناس في كل مكان ليكونوا أكثر فهما للإسلام.

ولذلك، هناك حل واحد في نظر المجموعات التي تمارس العنف باسم الدين، وهو تحويل العالم إلى مكان مظلم بائس عن طريق نظم حكم ظالمة بدلا من أن يحوله إلى مكان جميل عن طريق تطبيق التعاليم والمفاهيم الحقيقية للإسلام كي يستطيع الناس فهمه والعيش في رحابه.

خديعة الأصولية

هناك ظاهرة أخرى ترتبط بالإرهاب يجب أن نناقشها وهي الأصولية.

الأصولية أو "الراديكالية" تعني دعم التغيرات المخربة الثورية المفاجئة وتوفير السياسات العنيفة الصارمة التي تساعد على إنجازها. ويتميز الأصوليون بميلهم للتغيير الثوري والعنيف، ويتبنون أحيانا موقفا عدائيا.

ومن هذا نرى أن هناك دليل للمسلم في القرآن عن كل مجال من مجالات الحياة. فعندما ننظر إلى الأصولية في ضوء القرآن، نجد أنها لا تتفق مع أخلاق المؤمنين التي أمرهم الله بها. يصف الله المؤمن في القرآن بأنه إنسان محب حسن الكلام، يتجنب النزاع والجدال ويتقرب إلى الناس، حتى الأكثر عداوة منهم ، بالدفء والود.

وقد ضرب الله لنا مثلا بتلك الأخلاق في قصة موسى وهارون مع فرعون:

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى ﴾
(طــه: ٤٣-٤٤)

كان فرعون من أكبر الكافرين العصاة القساة في زمنه، وكان الطاغية الذي أنكر وجود الله وعبد الأصنام، علاوة على ذلك فقد عرّض المؤمنين (الإسرائيليين في ذلك الوقت) للقتل والعذاب الرهيب. ومع ذلك فقد أمر الله أنبيائه بالذهاب لهذا الرجل والتحدث معه بلين ولطف .

وستلاحظ أن الطريق الذي أوصى به الله هو طريق الحوار الودود ، ليس طرق


﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَات إِلَى
أَهْلِهَا وِإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ
سَمِيعًا بَصِيرا ﴾ (النساء : ٥٨)

النزاع بالكلمات الحادة والشعارات الغاضبة والاعتراضات الثورية .

وهناك عدة أمثلة تبين للمسلمين كيفية التصرف في مثل هذه المواقف مثل ما حدث بين نبي الله شعيب والكافرين :

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود : ٨٤-٨٨)

نلاحظ أن شعيب دعا شعبه لتقوى الله والتزام الأخلاق السامية وذلك بكل ود ولطف، وهنا نوضح بعض المفاهيم والأسباب الكامنة خلف ما ورد في هذه الآيات:

* عندما قال شعيب لقومه **"ما أنا عليكم بحفيظ"** لم يكن يريد أن يسيطر عليهم بل قصد فقط إخبارهم بالحقيقة التي وضحها الله.

* **" إنك لأنت الحليم الرشيد"** هذه هي كلمات الكافرين لشعيب التي توضح مدى لطفه وأدبه، وهم بأنفسهم من أقروا بذلك.

* **"قال يا قوم أرأيتم إن كنتم على بينة"** هذه الكلمات التي استعملها شعيب تدل على أنه يدعوا الكافرين لتحكيم عقولهم وضمائرهم. بمعني آخر فهو لم يضغط عليهم ولكنه ناقش عقولهم ودعاهم للتوصل للحقائق بناءا على ما تدلهم عليه أفكارهم وضمائرهم.

* **"وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه"** وتحريم شعيب هنا ليس تحريما

بمعني الكلمة ولكنه يوضح بعض الشرور ويدعو الناس لتركها. وقال أيضا **"وما أريد أن أخالفكم"** فغرضه ليس معارضة الناس وهو لا يريد أن يثيرهم أو يحرض على النزاع ولكنه يريد فقط أن يدعوهم للإيمان واعتناق الأخلاق والمبادئ السامية.

إذا تدبرنا القرآن الكريم نجد أن جميع الأنبياء اتصفوا بالهدوء والسكينة والتسامح. يصف الله نبيه إبراهيم قائلا :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ١١٤)

وفي آيات أخرى يصف أخلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قائلا:

﴿ فَبِمَا رَحْمَة منَ الله لنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ القَلْب لانْفَضُّوا منْ حَوْلكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفرْ لَهُمْ وَشَاورْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ اللهَ يُحبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩)

الغضب والانفعال هو أهم ما يميز الأصولية. ترى هذه الصفة بوضوح في خطب وكتابات ومظاهرات الأصوليين. ،فالانفعال ليس من خصائص المسلمين، ويصف الله تعالى المؤمنين في القرآن قائلا:

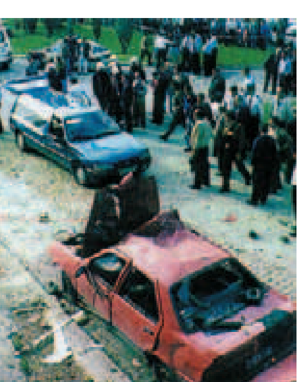
﴿ الَّذينَ يُنْفقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظمينَ الغَيْظَ وَالعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحبُّ المُحْسنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

فليس هناك ما يستدعي غضب المسلم، فكل ما يريده من الآخرين هو الإيمان بالله والعيش بالأخلاق والمبادئ السامية، وهذا فقط من نعمة الله على الناس. ومهما نحاول أن نفعل أو نوضح الحقيقة للناس إلا أن قلوبهم وهدايتهم بأمر الله وحده . ويذكر الله للمسلمين هذه الحقيقة الهامة في الآية التالية :

﴿ أَفَلَمْ يَيْأَس الَّذينَ آمنُوا أَنْ لَوْ يَشَاء اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (الرعد : ٣١)

وتتضح هذه الحقيقة في آية أخرى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنينَ ﴾ (يونس : ٩٩)





"بالنسبة إلى الإرهابيين، يُعتبر قتل الأبرياء والتدمير والتخريب أسلوبا في الحياة. وهم يتعمدون إراقة الدماء. فهم يقتلون الأبرياء، ويفجرون الأطفال ويهدمون البيوت بلا رحمة."

إذا، فواجب المسلم هو أن يوضح الحقائق ويدعو الناس لقبولها. أما قبول الناس أو رفضهم للدعوة فيرجع فقط لإرادتهم الحرة . ويوضح الله هذه الحقيقة عندما يقول إنه لا إكراه في الدين :

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

إذن، لا إكراه للناس لترك عقائدهم واعتناق الإسلام، ولا إجبار للمسلمين لأداء الصلوات واجتناب المعاصي، هناك فقط النصيحة.

ويوضح الله لرسوله عليه الصلاة والسلام في بعض آياته أن المسلمين ليسوا طغاة:

﴿ "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيد ﴾ (ق : ٤٥)

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِه وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس : ١٠٨)

إنّ مسئولية المؤمنين هي شرح دينهم، دون إكراه أو ضغط على أحد، وقد أُمروا أن يدعوا بالحكمة حتى مع أكثر الكافرين قسوة. ومثل هؤلاء الدعاة لا يمكن أن يكونوا أصوليين، لأنّ الأصولية تنتهج عكس كل ما ذكرناه. والأكيد أن الأصولية



ليست تيارا إسلاميا وإنّما نتجت عن فكر ووضع سياسي وفد إلى العالم الإسلامي من الخارج. وعندما ندرس تلك الظاهرة الاجتماعية المسماة بالأصولية ، نجد أنها تجمع الأساليب والأفكار التي تبناها الشيوعيون في الماضي. فتعبير "التعصب الأعمى" لا نجده في الإسلام:

﴿ إِذْ جَعَلَ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمُهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح : ٢٦)

يجب على كلّ المسلمين رفض التعصب كليا، فالجدل والإصرار على الرأي يعارض ما جاء في القرآن الكريم، بل يجب على المسلم أن يتبنى موقفا هادئا متسامحا ورحيما. ويجب أن يكون المسلمون مثالا للعالم في حكمتهم وتسامحهم واعتدالهم وتواضعهم وسلمهم. وكذلك يجب أن يكونوا صورة نقية للإسلام ليس فقط بهذه الصفات ولكن أيضا بإنجازاتهم في ميادين العلم والتراث والفن وكل متطلبات المجتمع.

ومن واجبات المسلم كذلك توضيح الأفكار الصحيحة للإسلام وحمايته من الفكر الدخيل. يوضح الله في هذه الآية ما يجب أن يكون عليه المسلمون تجاه الآخرين:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل : ١٢٥)



"يعمد الإرهابيون للتخريب النفسي والجسدي للوصول إلى أهدافهم. أما تعاليم الدين، والتي تعارض الإرهاب، فهي تدعو إلى نشر المحبة والخير والرحمة والسعادة والأمل في المجتمع."

نفسية الإرهابي وأساليبه

في وقتنا الحاضر، اتسع معنى الإرهاب. فهو بوجه عام يشير إلى الصراع المسلح الذي تمارسه مجموعات الفكر الأصولي. بشكل عام، الإرهاب يعني التخويف. ويحيط هذا الخوف بحياة الناس التي تشعر بالتهديد المستمر من العنف والإرهاب. ويشمل الإرهاب الرعب والتخويف المنظم الذي يهدف إلى إجبار الناس على تبني طريقة تفكير وسلوك معينين، كما أن أي فعل عنيف ينتج عنه هذا الخوف. ولكن في كل الأحوال هدف الإرهاب المباشر وغير المباشر هم الناس أنفسهم.

تلجا منظمات العنف للإرهاب لحشد المساندة. فهم يتعمدون التخويف اعتقادا منهم بأنه يزيد من قوتهم ويكسبهم مساندة بعض المواطنين .

عموما عندما تذكر كلمة إرهاب فإن أول ما يفكر فيه الناس هو نوع من الإرهاب عرف باسم "الإرهاب اليساري"، وهناك نوع آخر من الإرهاب يوجد في دول العالم الثالث يتمثل في الممارسة الديكتاتورية للحكام. وفي الحقيقة لم يحدث شيء أكثر إرهابا من أساليب الإرهاب اليساري، حيث يستعمل الدكتاتور أو مجموعة القوة الحاكمة الظالمة قوتهم لمصالحهم الشخصية، لذلك يكون لديهم تجارب عديدة في مواجهة المعارضة الاجتماعية. في هذه الحالة يلجأ النظام الدكتاتوري إلى نفس الأسلوب الذي أثبت قوته وفاعليته أمام المعارضة، فيبدأون باستخدام العنف لدعم موقفهم وإخافة المواطنين.

من ناحية أخرى تزعم المنظمات الإرهابية التي تعتنق مثل هذه المعتقدات أن هدفها هو القضاء على الحكم ومساوئه والذي يعتبرونه ظالما وغير شرعي، وهم يفعلون هذا للوصول إلى هدفهم في تحقيق طرق أكثر عدلا لحياة أكثر سعادة. وهذه المزاعم ليست حقيقية، ففي القرآن الكريم يخاطب الله الذين يفكرون بهذه الطريقة بقوله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُم الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة : ١١-١٢)

قتل الأبرياء بالنسبة للإرهابيين طريقة حياة . فهم يقتلون الأبرياء ويفجرون الأطفال بلا رحمة. فإراقة الدماء بالنسبة إليهم تحقق السعادة، حتى أنهم لم يعودوا بشرا بل تحولوا إلى وحوش هائجة. وإذا وجد بينهم من يظهر بعض الشعور بالشفقة يحتقرونه ويعتبرونه جبانا أو خائنا. وغالبا ما يستخدمون الأسلحة ضد بعضهم البعض، ويقومون بما يسمى التطهير داخل منظماتهم.

نلاحظ بوضوح أنه لاشيء أكثر شرا من إراقة الدماء. ومن يدعم هذه الهمجية فكأنه يحمي هذا الشر. ويجب أن لا ننخدع بالإرهابيين الذين يستخدمون لغة الدين ومفرداته. فهؤلاء الذين يلبسون عباءة الدين الباطلة ذنبهم مضاعف، إراقة الدماء والدعوة بما ليس في الدين بل بما يخالف الدين أيضا.

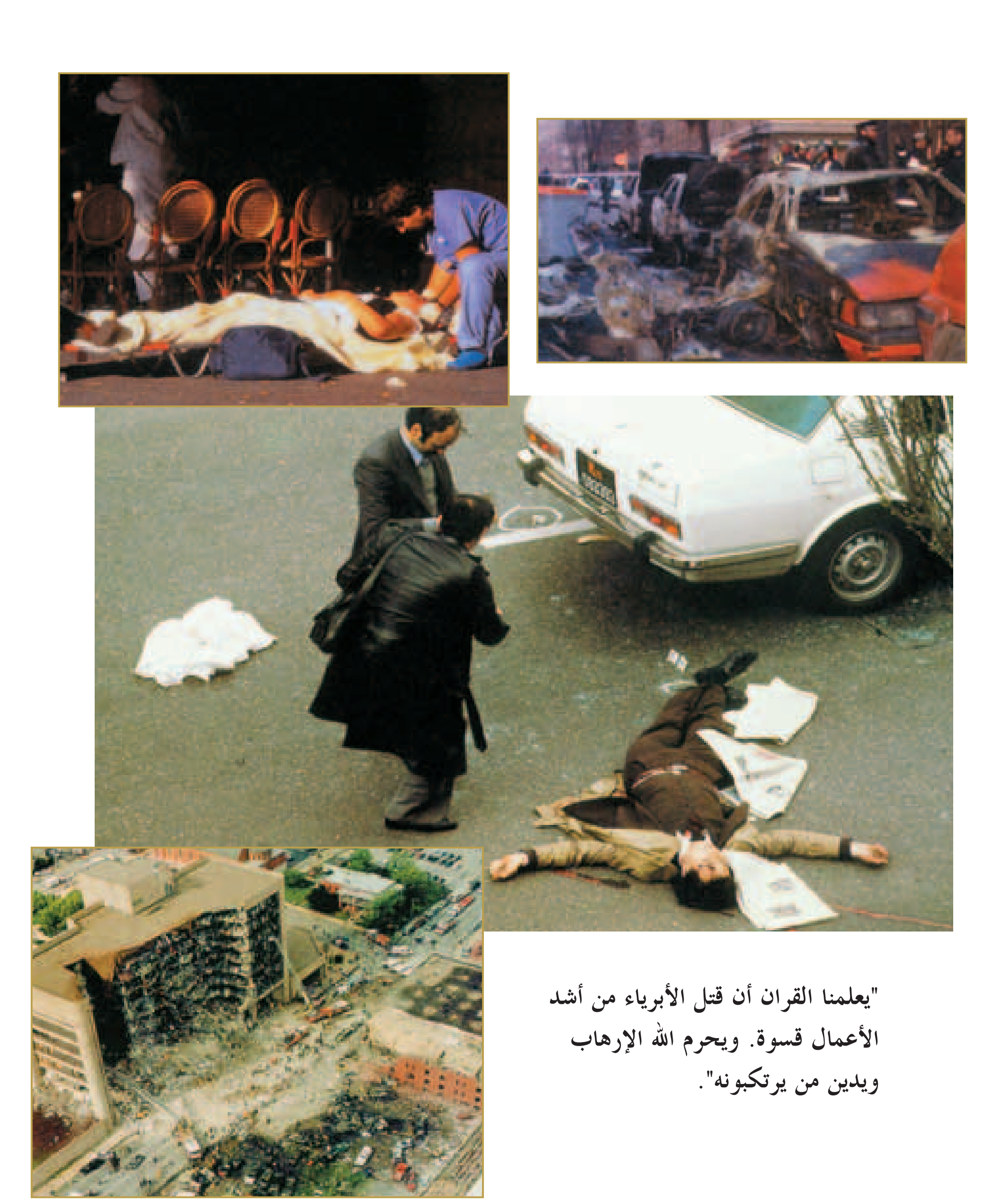
فالإرهاب والدين يتعارضان تماما، حيث يتبنى الإرهاب طريق العدوان والقتل والصراع والظلم والبؤس. بينما ينهى القرآن عن كل هذا الظلم، ويدعو الله للسلام والود والتآلف والتراحم. ويحرم كل أنواع وأفعال الترهيب التي لا تشجع على السلام، ويدين أولئك الذين يرتكبون مثل هذه الأعمال:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾
(الرعد : ٢٥)

ومن الصفات الأساسية للإرهابيين الذين يمارسونه أنهم بعيدون كل البعد عن حب الله ولا يعرفون حتى الخوف منه. فقد قست قلوبهم ومرضت أرواحهم. ويخبرنا الله عن هؤلاء في القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (القلم : ١٠-١٣)

وقد حرم الله الثورة والاعتداء بلا سبب، ويحرم الإسلام ما نسميه الآن بأعمال



"يعلمنا القران أن قتل الأبرياء من أشد الأعمال قسوة. ويحرم الله الإرهاب ويدين من يرتكبونه".

الإرهاب والفوضى، حيث ذكر في القرآن :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٣)



﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
(المائدة : ٨)

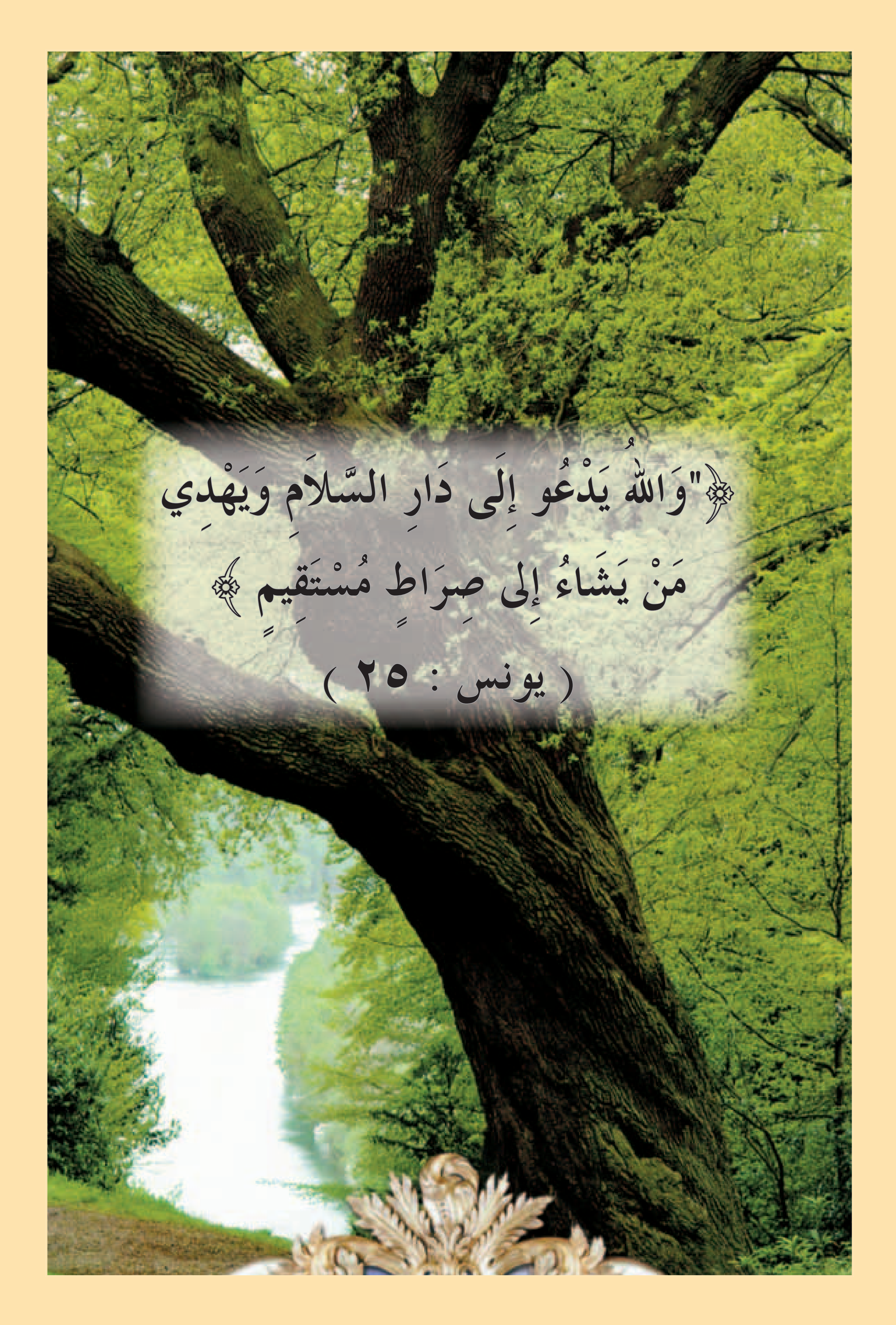
أعمال العنف :
أحد أهم طرق الدعاية للمنظمات الإرهابية

يعتبر الإرهابيون أعمال العنف دعاية لمنظماتهم. فبالنسبة لهم، أعمال مثل قتل الأبرياء وسرقة البنوك واغتيال الناس والخطف والتفجير، تقوم كلها بدور الدعاية لكفاحهم. بالنسبة للإرهاب الذي يميل إلأى الفوضى، فإن القيام بعمل عنف واحد يعمل من الدعاية في يوم ما لا تستطيع فعله الملايين من المنشورات.

مثل هذه الأفكار غريبة تماما على كل المشاعر الإنسانية من الرحمة والعطف والتسامح، وهي منافية كذلك لكل تعاليم القرآن، وقد تؤثر فقط في المجتمعات التي تسيطر عليها أفكار ومعتقدات معادية للدين. لهذا السبب، فإن الحل الوحيد الذي يمكن أن ينقذ الإنسانية من مثل هذا التفكير الجاهل هو تطبيق تعاليم وأخلاقيات القرآن الكريم أسلوبا في الحياة.



" يري الإرهابيون أفعالهم المخربة وسائل للدعاية، ويسعون لنشر الخوف عن طريق قتل الأبرياء وتدمير الممتلكات."


﴿"وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
(يونس : ٢٥)



نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب

العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي أحد الموضوعات الهامة التي نوقشت بعد الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة. وكما هو معروف، فقد تنبأ بعض المثقفين في القرن التاسع عشر أن العالم على وشك صراع بين الغرب والإسلام. وكان هذا هو الموضوع الرئيسي لرسالة صموئيل هانتينجتون "صراع الحضارات". وقد سمى إدوارد دبليو هذا الصراع بـــ "صراع الجهل" حيث قال : "يرجع هذا السيناريو الخيالي والمبالغ فيه إلى تأثير بعض العناصر المتطرفة والجاهلة والتي تتواجد في كلتا الحضارتين. وفي الحقيقة إنه لا يمكن أن يكون هناك صدام أو تعارض بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وذلك لأن المعتقدات المسيحية واليهودية التي تستند

عليها الحضارة الغربية تنسجم تماما مع الإسلام.

يسمى اليهود والمسيحيون في القرآن الكريم "أهل الكتاب"، وذك لأنهم يتبعون كتب مقدسة منزلة من عند الله تعالى. ونظرة الإسلام لأهل الكتاب عادلة جدا ورحيمة.

اتضح هذا الموقف نحو أهل الكتاب في خلال السنوات الأولى للدعوة الإسلامية. في ذلك الوقت كان المسلمون أقلية يجاهدون من أجل حماية إيمانهم ويعانون من الظلم والتعذيب الذي لاقوه من كفار مكة. وبسبب هذا الاضطهاد، قرر المسلمون الفرار من مكة واللجوء إلى بلد آمن يحكمه ملك عادل. وعندها أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتخذوا من الحبشة (أثيوبيا) مأوى لهم وكان ملكها مسيحيا. وقد وجد المسلمون فيه حاكما عادلا استقبلهم بالحب والاحترام. و رفض الملك طلب رسل المشركين إليه بتسليمهم المسلمين، بل أعلن أنه في إمكان المسلمين العيش بحرية في بلده.

يشير القرآن الكريم إلى هذا الموقف المسيحي المليء بالرحمة والعدل والرأفة حيث يقول :

﴿ ... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة : ٨٢)

اشتراك المسلمين و أهل الكتاب في القيم والمعتقدات العامة

هناك العديد من المظاهر المشتركة بين المعتقدات الإسلامية والمسيحية. وكذلك تشارك اليهودية الإسلام في العديد منها. ويوضح الله في القرآن الكريم أن المسلمين يشاركون أهل الكتاب العقيدة نفسها ويبين لهم كيفية مخاطبة أهل الكتاب:

﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٦)

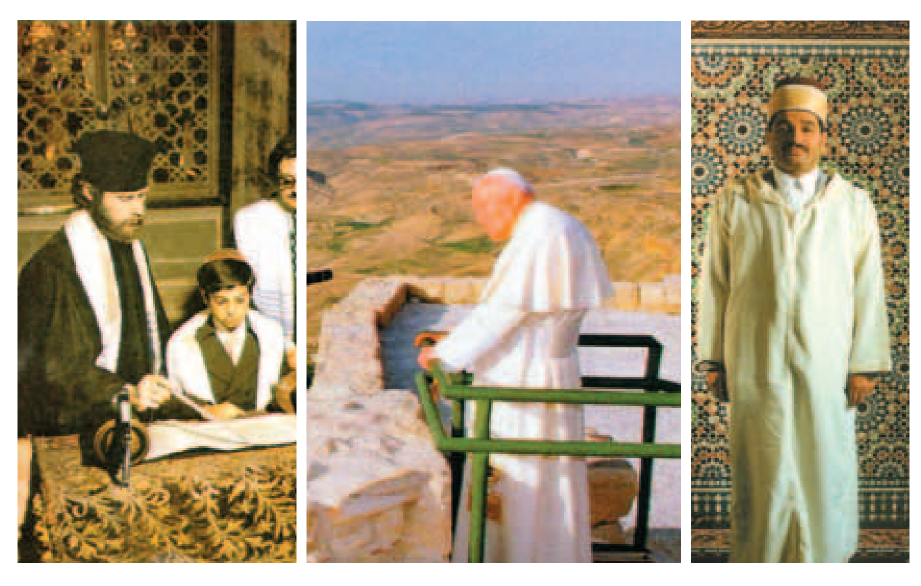
إن جميع أتباع هذه الديانات الثلاثة العظيمة يؤمنون بأن الله هو خالق الكون من العدم وهو المسير له بقدرته المطلقة.

"يُعرَّف المسيحيون واليهود في القرآن الكريم بأهل الكتاب، وقد أمر المسلمون باحترامهم والرحمة بهم. فهم يشاركون المسلمين نفس القيم الأخلاقية"

* يؤمنون بمعجزة الله في خلقه وأنه هو الذي وهب الروح والحياة للإنسان.

* يؤمنون بالبعث والجنة والجحيم والملائكة، وبأن حياتنا تسير بقدر الله تعالى.

* يؤمنون بأنه إلى جانب عيس وموسى ومحمد عليهم السلام أرسل الله العديد من الرسل مثل نوح وإبراهيم واسحق على مر التاريخ، وهم يحبون جميع هؤلاء



"يُعرَّف المسيحيون واليهود في القرآن الكريم بأهل الكتاب، وقد أمر المسلمون باحترامهم والرحمة بهم. فهم يشاركون المسلمين نفس القيم الأخلاقية"

الأنبياء.

ويوضح القرآن الكريم في إحدى آياته أن المسلمين لا يفرقون بين الأنبياء:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥)

تتفق معتقدات أهل الكتاب مع معتقدات المسلمين ليس فقط في القضايا التي تتعلق بالإيمان، ولكن أيضا في القيم الأخلاقية. وفي وقتنا الحاضر انتشر الفساد في العالم كله مثل الزنا واللواط والإدمان والأنانية والغرور، بينما يشارك أهل الكتاب المسلمين نفس الفضائل مثل الشرف والعفة والتضحية بالنفس والتواضع والرحمة والرأفة والحب دون انتظار مقابل.



"ينشغل اليوم كل من المسلمين وأهل الكتاب بتوسيع دائرة كفاحهم ضد الفساد والإدمان والشذوذ الجنسي. وتتمسك الديانات الثلاثة بأعظم الفضائل كالعفة والأمانة ونكران الذات".

أعداء المسلمين وأهل الكتاب

من الحقائق الهامة أن الفلسفات الملحدة التي تنكر وجود الله والتي انتشرت في عالمنا اليوم، بدأت تغزو الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية معا.

من بين أكثر الفلسفات ضررا والمعروفة في عصرنا تلك التي تستند إلى المادية والشيوعية والفاشية والفوضوية والعرقية والإلحاد والوجودية . والعديد من الناس الذين آمنوا بهذه الفلسفات الباطلة في الكون والمجتمع والإنسان، فقدوا إيمانهم أو شكوا فيه. بل الأكثر من ذلك أن هذه المعتقدات ورطت الناس والمجتمعات والأمم في أزمات كبيرة ونزاعات وحروب. ولهذه المعتقدات النصيب الأكبر من المسئولية عن العذاب والمشاكل التي تعاني منها الإنسانية كلها في الوقت الحاضر.

إنكار وجود الله وخلقه، هذا هو الإطار العام التي تستند عليه تلك الأيديولوجيات، وهو عبارة عن قاعدة علمية تسمى نظرية دارون للتطور. حيث أقامت هذه النظرية قاعدة فلسفة الإلحاد. وتدعي هذه النظرية أن الكائنات الحية تطورت صدفة كنتيجة لمحاولة التكيف مع الحياة. إذن فالداروني ترسل هذه الرسالة الخادعة للناس:

"أنت لست مسئولا عن الآخرين، فحياتك هي مجموعة من الصدف، وهي تحتاج إلى الكفاح، حتى وإن دعتك الضرورة لاضطهاد الآخرين لكي تنجح، إن هذا العالم هو مكان للصراع والمصالح الشخصية"

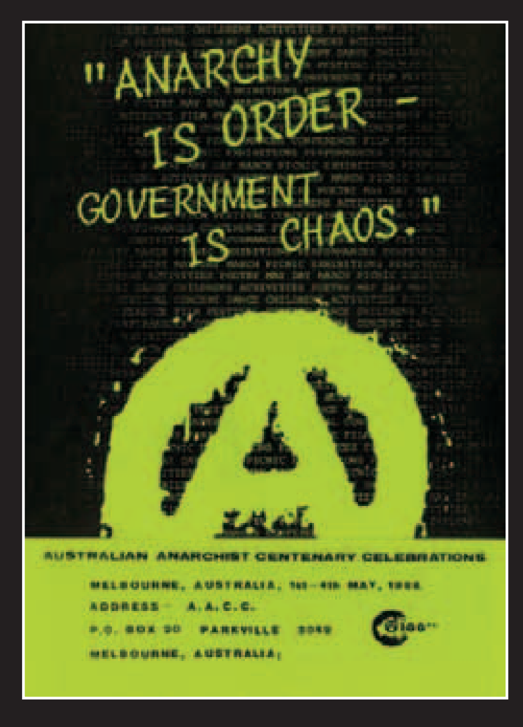
وقد اخترقت العديد من المفاهيم الدارونية القيم الاجتماعية مثل "الاختيار الطبيعي" و "الصراع من أجل البقاء" و "البقاء للأقوى". وتنصح هذه المبادئ الناس بأن يكونوا قساة، ظالمين، نفعيين ، أنانيين. بل وتدمر الفضائل كالرحمة والرأفة والتضحية والتواضع، تلك القيم الأخلاقية التي تدعمها الأديان الثلاثة كضرورة لـــ"قانون الحياة".

وتتنافى الفلسفة الدارونية تماما مع معتقدات أهل الكتاب ورسالة القرآن

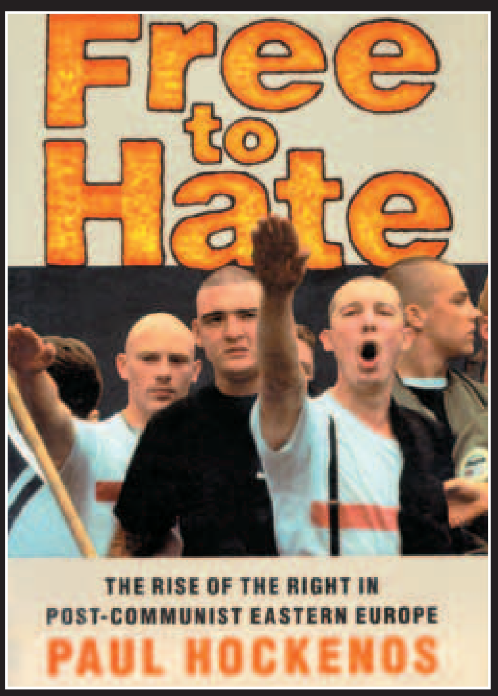


"تقترح الداروينية مجتمعا يشجع النزاع والعنف كوسائل للتطور. لكن تكشف الدراسات الاجتماعية التأثير السلبي لتلك النظرية التي لم تجلب غير الألم والدمار للمجتمعات ".









"جلبت المعتقدات الملحدة مثل الفاشية والشيوعية والعرقية والفوضوية الدمار للإنسانية وشجعت الكراهية في المجتمعات".

الكريم. لذلك تمثل مبادؤها الأسس الذي يرتكز عليه العالم المعارض للأديان المقدسة الثلاثة.

لهذا السبب، من الضروري أن يتحد المسلمون وأهل الكتاب طالما أنهم يؤمنون بالله ويقبلون كل ما أمرهم به. ويجب عليهم أن يوضحوا للعام زيف الداروينية ومغالطاتها، ويبينوا انه ليس لها أي أساس علمي، ويحاول بعض الناس الحفاظ عليها فقط لأنها فلسفة مادية . كما يجب على أتباع الأديان الثلاثة كذلك قيادة كفاح ثقافي ضد كل الأفكار الخادعة (لشيوعية ، الفاشية ، العرقية ....) والتي تخدم الإلحاد . وإذا حدث هذا ، سوف يصبح العالم في وقت قصير جدا واحة للسلام والأمن والعدل.



"اضطهاد اليهود على مر التاريخ كان أساسا نتيجة لمعاداة السامية. من حقنا أن نعارض وننتقد وحشية إسرائيل، ولكن لا يجب على المسلم أن يرد على هذا الظلم والقسوة بقتل الأبرياء من اليهود".

معاداة السامية عنصر
ية تخالف تعاليم الإسلام

تهدد أفكار معاداة السامية في عصرنا الحالي السلام العالمي وتستهدف أمن وأمان الأبرياء. وهذه العنصرية والكراهية يظهرها البعض نحو اليهود.

في القرن العشرين، ارتكبت العديد من الكوارث الكبرى باسم معاداة السامية، ومن أكبر حوادث الترويع والقتل والظلم تلك التي ارتكبها النازيون ضد اليهود. بالإضافة إلى هذا فقد استهدف اليهود وتعرضوا للظلم في العديد من البلدان التي كان فيها الحكم ديكتاتوريا. وذاق اليهود سوء العذاب على أيدي المنظمات الفاشية. ولكن ما هو موقف المسلمين تجاه معاداة السامية ؟

الجواب واضح، يجب على المسلم أن يعارض معاداة السامية كما يعارض كل الآراء العنصرية الأخرى. وإذا كان من حق المسلمين إدانة سياسة الظلم والعدوان التي تمارسها إسرائيل إزاء بعض الشعوب، فإنه من غير المقبول أن يصبح جميع اليهود هدفا للإدانة وخاصة الأبرياء منهم : وإلا سيكون هذا معاداة للسامية. وعلى أية حال فإن انتقاد السياسة الصهيونية الرسمية لا يعني معاداة السامية، حيث أن الاعتراض على الصهيونية هو اعتراض على شكل من أشكال العنصرية. وهناك العديد من اليهود الذين ينتقدون عنصرية وسياسة الصهيونية، وسيكون من السخف وغير المعقول وصف هؤلاء بمعاداة السامية.

والقرآن الكريم لا يقبل وضع جميع الناس في خانة واحدة واتخاذ الموقف نفسه إزاءهم جميعا، فهناك حاجة إلى أن نميز بين الحسن والسيء والخير والشرير وبين الظالم والبريء . بعد الإشارة إلى بعض اليهود والمسيحيين الذين انتهكوا أوامر الله ، ذكر الله كذلك من أظهر كمالا وتمسكا بالأخلاق منهم فقال:

﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١١٣-١١٥)

معاداة السامية هي عقيدة ضد الدين الذي يستمد جذوره من الوثنية الجديدة. لذا فمن غير المعقول أن يقبل المسلمون معاداة السامية أو يشعروا حتي بالتعاطف مع هذه العقيدة. فالمعادون للسامية لا يحترمون أنبياء الله كإبراهيم وموسى وغيرهم ممن أرسلهم الله بالحق ليكونوا مثلا يحتذى للإنسانية.

معاداة السامية وكل أنواع التعصب العرقي (مثل التعصب ضد السود) ليس لها مكان في الدين الحقيقي، بل هي نتاج أفكار ومعتقدات منحرفة.

بالإضافة إلى كل هذا، عندما ندرس معادة السامية وكل أشكال العرقية الأخرى، نرى بوضوح أنها تدعو إلى أفكار ونماذج مجتمعات تتنافى تماما مع تعاليم القرآن وأخلاقياته، فعلى سبيل المثال ترتبط معاداة السامية بالكذب والعنف والظلم. وتكمن قسوة معاداة السامية في مساندتها لقتل اليهود الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال والمسنين والتغاضي عما يتعرضون له من عذاب.

ومهما يكن من أمر، فالمغزى الحقيقي لتعاليم القرآن الكريم هو التوجيه للحب والرحمة مع جميع الناس. والقرآن يأمر المسلمين بالعدل







"يود المسلمون العيش مع المسيحيين واليهود في سلام ومحبة، وأن يعامل كل منهم الآخر برحمة وتسامح واحترام".

والمغفرة حتى مع أعدائهم.

من ناحية أخرى، تتعايش جميع أنواع العنصرية معا في سلام بين أناس مختلفي الأجناس والمذاهب. فعلى سبيل المثال، يتعايش العنصريون الألمان (النازيون) مع العنصريين اليهود، مع أن كلا منهم يعارض هذا الوضع لأن كل جانب يرى أن الجنس الآخر جنسا متدنيا. وفي القرآن، لا يوجد هذا التمييز بين الأجناس، فالقرآن يدعو الناس من مختلف العقائد إلى التعايش معا في نفس المجتمع بود وسلام.

وفقا للقرآن، يجب على المسلمين والمسيحيين واليهود أن يعيشوا متحابين

يتضح في القرآن ذلك الخلاف الحاد بين أهل الكتاب والملحدين الذين لا يؤمنون بالله تعالى. مما يؤكد خاصة اهتمام القرآن بالحياة الاجتماعية. وكمثال، يقول القرآن الكريم قاصدا هؤلاء الملحدين:

﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٢٨)

هؤلاء الملحدون ليس لديهم قانون مقدس ولا أي مبادئ أو أخلاقيات، بل هم

يرتكبون جميع أنواع الانحراف بدون تردد. أما أهل الكتاب، الذين أرسلت كتبهم بوحي من عند الله، فلديهم أخلاقيات ومبادئ ويحترمون القيم الإنسانية. ولهذا فقد أعطى للمسلمين رخصة بالزواج من نساء أهل الكتاب:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة : ٥)

توضح هذه التوجيهات أنه من الممكن تكوين روابط نسب وقرابة كنتيجة لزواج المسلم من امرأة من أهل الكتاب، ويجب على طرفي هذا الرباط الاهتمام بالآخر. وتتضمن مثل هذه القواعد تأسيس علاقات إنسانية منصفة وحياة اجتماعية سعيدة. وحيث أن القرآن يوجه لمثل هذا الموقف العادل المتسامح، فإنه من غير المعقول أن يكون للمسلم وجهة نظر أخرى أو موقف معارض.

يمثل العدل والتسامح الذي أظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه أهل الكتاب مثالا رائعا يحتذي به المسلمون. ويعرض الرسول عليه الصلاة والسلام نموذجا من أفضل أمثلة هذا العدل والتسامح في العقد الذي أبرمه مع مسيحيي نجران، الذين عاشوا في جنوب الجزيرة العربية، حيث تضمن العقد البنود التالية:

> إن حياة أهل نجران والأراضي المحيطة بهم، ودينهم وأرضهم وأملاكهم وماشيتهم، من كان منهم حاضرا أو غائبا، رسلهم ودور عبادتهم كلها تحت حماية الله ووصاية نبيه صلى الله عليه وسلم.[٢٠]

أمن الرسول عليه الصلاة والسلام بمثل هذه الاتفاقيات حياة اجتماعية تتسم بالأمن والأمان للمسلمين وأهل الكتاب على حد سواء، ويتضح هذا تماما في الآية التالية:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الآخرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢)

إن دستور المدينة هو أكثر العقود أهمية، وقد ضمن تحقيق العدل والتسامح بين المسيحيين واليهود والمشركين.

أعد دستور المدينة بتوجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ١٤٠٠ عام ، أي في عام ٦٢٢ ميلادية، وذلك ليلبي احتياجات جميع الناس من مختلف العقائد، وتم تطبيقه كعقد قانوني مكتوب. وقد أصبح الكثير من الجماعات التي تختلف في الدين والجنس والتي أضمرت لبعضها البعض عداوة خافية راسخة لمدة ١٢٠ عاما أصبحت أطرافا في هذا العقد القانوني. وقد أظهر الرسول عليه الصلاة والسلام بواسطة هذا العقد أنه يمكنه إنهاء النزاعات الكامنة بين هذه المجتمعات بل وبإمكانهم ان يعيشوا مع بعضهم البعض، بينما كانوا قبل ذلك أعداء وعجزوا تماما عن التوصل لأي شكل من أشكال التسوية.

طبقا لدستور المدينة، كان كل إنسان حر في التمسك بأي عقيدة أو دين واختيار أي سياسة أو فلسفة. ويمكن للأفراد الذين يشتركون في نفس الأفكار التجمع وتشكيل جماعة. وكان كل شخص حر في ممارسة نظام العدل الخاص به. وبطبيعة الحال لن يحمي الآخرون أي شخص يرتكب جريمة. وانشغلت كل الأحزاب المشتركة في العقد بالتعاون ومساندة بعضها البعض، وبقيت كلها تحت حماية الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت النزاعات بين الأحزاب تعرض على الرسول عليه الصلاة والسلام للحكم فيها .

عمل بهذا العقد منذ ٦٢٢ م وحتى ٦٣٢ م . خلال هذا العقد، ألغيت التجمعات القبلية التي استندت إلى الأصل والنسب، وتجمع أناس من مشارب عرقية وثقافية وجغرافية مختلفة معا وشكلوا وحدة اجتماعية. وضمن دستور المدينة الحرية الدينية المطلقة.

يتعيّن احترام الأديرة والكنائس ومعابد اليهود

حقيقة أخرى نتعلمها من القرآن الكريموهي أنه يجب على المسلمين احترام أماكن العبادة اليهودية والمسيحية. وإن الكنائس والمعابد والأديرة قد حماها الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَارِهِمْ بغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٤٠)

توضح هذه الآية للمسلمين ضرورة احترام وحماية الأماكن المقدسة الخاصة بأهل الكتاب.

وفي الحقيقة فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أبرم مثل هذه العقود مع الوثنيين أيضا. وقد عومل الوثنيون دائما بالعدل، وقد لبى النبي عليه الصلاة والسلام كل طلباتهم عندما خضعوا لحمايته. يعني هذا أن تلك الجماعات قد طلبت حماية الرسول ضد أي هجوم أو اتهام ظالم. وخلال حياته عليه الصلاة والسلام طلب العديد من المسلمين والوثنين حمايته، وقد أخذهم تحت حمايته وضمن لهم أمنهم. وينصح الله المؤمنين في سورة التوبة بقبول طلب الوثنيين لحمايتهم قائلا:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ منَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة : ٦)

بسبب الاشتراك في العديد من الخصائص، فإن المسيحيين واليهود أقرب إلى المسلمين من أولئك الذين لا يؤمنون بالله. فكل منهم لديه كتابه الذي يتبعه وأنزل من عند الله تعالى. وطبقا لكتبهم المقدسة، فإنهم يعرفون الحق من الباطل ويفرقون بين الحلال والحرام ويوقرون الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إليهم. وهم جميعا يؤمنون بالآخرة وبحساب الله على أعمالهم. لذا فهناك جوامع مشتركة يمكننا أن نتحد على أساسها.



"الجوامع والكنائس والمعابد أماكن مقدسة يرفع فيها اسم الله . ويذكر الله في القرآن الكريم أننا يجب أن نحمي تلك الأماكن المقدسة ونحترمها "

الاجتماع على كلمة واحدة

اهتماما بأهل الكتاب، أمر الله المسلمين في القرآن بالاجتماع على كلمة سواء:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٤)

إن هذا نداء للمسيحيين واليهود، باعتبارهم يؤمنون بالله ويتبعون أوامره، دعونا نتفق على كلمة واحدة وهي "الإيمان" . دعونا نحب الله خالقنا ونتبع أوامره. ولنصل لله داعين أن يدلنا على الطريق الصحيح.



"سينتهي الشر في العالم عندما يتحد المسلمون والمسيحيون واليهود ويتفقون على الإيمان بالله والتسامح".



"يجب أن يتحد المؤمنون ويصلي كل منهم للآخر"



TERRORISM AND ISLAM
ARE NOT THE SAME

…T US MOURN An interreligious ceremony at Bremen's Faith Mosque brings together
…eaders and adherents from Islam and Christianity to remember the victims of U.S. terror



Bush and Blair:
Islam is peace, not terror

Muslims in London's Hyde Park pray for victims of the attacks

Karen Armstrong

The True, Peaceful Face of Islam

…ARE 1.2 BILLION MUSLIMS IN THE WORLD, AND ISLAM
…world's fastest-growing religion. If the evil car-

an end as quickly as possible and must cease the minute th…
…emy sues for peace (2: 192-3).

عندما يتفق المسلمون والمسيحيون واليهود على كلمة سواء، وعندما يدركون أنهم أصدقاء وليسوا أعداء، وعندما يرون أن العدو الحقيقي هو من ينكر وجود الله، يصبح العالم بيئة مختلفة تماما. سوف تنتهي الحروب والعداوات والرعب والهجمات الإرهابية في العديد من بلدان العالم، وستُؤسس حضارة جديدة تستند على الحب والاحترام وعلى تلك "الكلمة السواء".

هناك العديد من الحقائق المهمة لدى المسلمين والتي لا يمكن التغافل عنها.



"تلى السيد / موزاميل سيديكوي، رئيس الطائفة المسلمة في أمريكا الشمالية، آيات من القرآن الكريم في كاتدرائية واشنطن الوطنية في ذكري أحداث ١١ سبتمبر.
"صلى الرئيس بوش إلى جانب إمام المسلمين في الكاتدرائية الوطنية خلال مراسم التأبين"
"زيارة بوش للمركز الإسلامي في واشنطن"
"بعد هجمات ١١ سبتمبر، صلى كثير من الناس من أجناس وديانات مختلفة تعاطفا وتضامنا مع الضحايا"



"مظاهر الاحترام: البابا في زيارة لحائط المبكى في القدس، مفوض الاتحاد الأوربي و رومانو برودي يلقي خطابا في المركز الإسلامي في بروكسل"

وما يأمرنا به الله تعالى تجاه الناس الآخرين ذوي المذاهب المختلفة واضح في القرآن الكريم:

* تحرم تعاليم القرآن كل أنواع العرقية .

* وقد أمرنا الله في القرآن بأن نظهر الود والتسامح تجاه أصحاب الأديان الأخرى طالما أنهم لا يهاجمون الإسلام والمسلمين.

من المعروف أن اليهود قد ارتكبوا العديد من الأخطاء التي أشار إليها القرآن الكريم وانتقدها ونهي عنها. وقد ارتكبت إسرائيل جرائم مروعة ضد الإنسانية في وقتنا الحاضر يعرفها العالم كله، ولكن لا يجب أن يكون هذا ذريعة للمسلمين لكراهية جميع اليهود. وهناك أيضا آيات في القرآن الكريم تمنعنا من أن نحكم على الناس طبقا للجنس أو البلد أو الدين. ففي كل جماعة يوجد الخيرون والأشرار. ويلفت القرآن الانتباه إلى هذا الاختلاف. وعلى سبيل المثال، ميز القرآن الكريم بين فريقين من أهل الكتاب فقال في الفريق من أهل الحق:

﴿ **لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ**

يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١١٣-١١٥)

وفي آية أخرى قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل : ٣٦)

أوحى الله إلى رسله أنه هو الواحد لا شريك له وهو سبحانه المعبود المطاع من قبل عباده. تلك الرسالة المقدسة التي أرسلها الله للناس من خلال رسله، بلغت لهم منذ الخلق الأول. بعض المجتمعات تقبلت الرسالة ووالتزمت بها والبعض الآخر أنكرها وقام لها بالمرصاد. ونحن نرى هذه الحقيقة في وقتنا الحاضر أيضا، فبعض الناس يسلكون الطريق المستقيم والبعض الآخر ينغمسون في الشرور. وهذه إرادة الله تعالى. وعلى المؤمنين أن يعتقدوا بأن من بين معتنقي الأديان الأخرى بعض المخلصين الذين يخافون الله تعالى.

وأملنا أن تعيش شعوب العالم معا في سلام، دون النظر للجنس أو الدين، وأن ننبذ كل أنواع التعصب والتفرقة ونحترم حقوق كل الناس ونعمل على حمايتها، فينحصر الصراع ضد كل ما هو معاد للدين والإيمان. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود : ١١٦)


﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا
وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ" ﴾
(النمل : ٨٩)



انتشار الأمن والسلام في الشرق الأوسط بفضل الإسلام

عندما ننظر عبر التاريخ نلاحظ أن المناطق التي حكمها المسلمون وجد فيها التسامح والسلام. وسلوك الحكام المسلمين في البلاد التي فتحها الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أمثله واضحة وهامة جدا، ونجح العادلون منهم، الذين اتبعوا سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام والتزموا بها في تأسيس مجتمعات مسالمة. وقد وصف عهد هؤلاء الحكام في القرآن بالعدل والصلاح والاستقامة، لذلك فهم مثال جيد للنجاح لكي تتبعه الأجيال.

وتعتبر أرض فلسطين وعاصمتها القدس، حيث تجتمع الأديان الثلاثة مثالا مهما جدا يبين كيف يجلب المسلمون السلام والاستقرار إلى الأرض التي يحكمونها. وحقا ، لأكثر من ١٤٠٠ عام عم السلام القدس وفلسطين تحت الحكم الإسلامي.

الأمن والعدل اللذان
أوجدهما عمر رضي الله عنه في فلسطين

كانت القدس عاصمة اليهود حتى عام ٧١ م، وفي هذا العام اعتدى الجيش الروماني على اليهود ونفاهم بوحشية شديدة. وعندها بدأ تشتت اليهود في العالم، وأصبحت القدس وما حولها أرضا مهجورة.

بعد فترة من الزمن عادت القدس لتصبح مركز اهتمام بعد اعتناق الرومان المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين، وبنى المسيحيون الرومان الكنائس فيها ومنعوا اليهود من الاستقرار فيها منعا تاما. وبقيت فلسطين منطقة رومانية (بيزنطية) لأكثر من سبعة قرون. وقد احتل الفرس المنطقة لوقت قصير، ولكن بعدها عاد البيزنطيون لحكم المنطقة.

دخل تاريخ فلسطين منعطفا هاما عام ٦٣٧ م وذلك عندما دخلتها جيوش المسلمين. وهذا التاريخ يمثل منعرجا مهما في تاريخ فلسطين، فقد كانت لقرون عديدة مكانا للحروب والنزاعات والنهب والقتل. وشهدت حوادث ظلم متكررة في كل وقت. وكان مجيء الإسلام حقبة جديدة استطاع فيها الناس من مختلف الأديان العيش معا في سلام وتآلف.

فتح سيدنا عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني للمسلمين بعد الرسول عليه الصلاة والسلام فلسطين. وبدأ العهد الجميل بدخول الخليفة للقدس الذي أظهر التسامح والحكمة والرحمة تجاه جميع أصحاب الديانات والمعتقدات المختلفة. ويصف المؤرخ البريطاني وخبير شؤون الشرق الأوسط كارين ارمسترونج فتح عمر بن الخطاب للقدس في كتابه "الحرب المقدسة" قائلا:

"دخل الخليفة عمر القدس على ظهر فرس أبيض، مرافقا حاكم المدينة، البطريرك اليوناني سفرونياس. وعندها طلب الخليفة أن يذهب إلى المعبد حيث سجد وصلى في نفس المكان الذي أسري فيه بصاحبه النبي محمد (عليه الصلاة والسلام). وكان البطريرك يراقب ما يحدث في رعب ويتصور أن هذا

ربما يكون الغزو المدمر الذي سيتعرض له المعبد كما تنبأ النبي دانيال أو قد يكون المسيح الدجال الذي تنبؤوا به. وطلب عمر أن يزور الأماكن المسيحية، وبينما كان بكنيسة الضريح المقدس، وجب وقت صلاة المسلمين، وعرض البطريك بكل تواضع على عمر أن يصلي حيثما يقف، وبأدب شديد رفض عمر أن يصلي في الكنيسة، وفسر ذلك بأنه يخشى أن يتخذ المسلمون من هذه الكنيسة مسجدا لهم ويدمرونها باعتبارها مكانا للمسيحيين. وبدلا من ذلك خرج عمر ليصلي خارجها على مسافة قريبة منها، وما زال هناك حتى الآن مسجد صغير مقابل للكنيسة تماما سمي مسجد عمر بن الخطاب.

يذكر جامع عمر الذي بني بجوار الكنيسة بفتح المسلمين، إلى جانب المسجد الأقصى الذي يحيي دائما ذكري إسراء ومعراج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولسنوات طويلة اعتبر المسيحيون مكان الهيكل اليهودي خرابا لنفايات المدينة. ولكن عمر شارك بنفسه المسلمين في رفع النفايات من هذا المكان حيث شيد المسلمون مزارين لتوطيد الإسلام في ثالث أكثر المدن قدسية في



مسجد عمر رضي الله عنه وخلفه المسجد الأقصى

العالم الإسلامي"[٢١]

وبقدوم الحكم الإسلامي للقدس، أصبحت جنة آمنة حيث تعايش أصحاب الديانات الثلاث في ود وسلام. كتب جون اسبوزيتو :

"عندما فتحت الجيوش العربية القدس عام ٦٣٨م، احتلت الأماكن الرئيسية التي يحج إليها المسيحيون، وترك المسيحيون الكنائس والبيوت باختيارهم دون قهر أو إجبار. وسمح لليهود بالعودة، وقد منعهم المسيحيون من العيش بالقدس، وخصوصا في مدينة سليمان وداود" [٢٢]

عندما دخل الخليفة عمر القدس وقّع الاتفاق التالي مع حاكمها:

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ايلياء (بيت المقدس) من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ساكنيها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم" [٢٣]

باختصار، جلب المسلمون الحضارة للقدس وكل فلسطين، فبدلا من نظرة عدم الاحترام التي تواجدت تجاه الديانات الأخرى، وقتل أصحابها لمجرد اختلاف العقيدة، أتى الإسلام ليحكم بالعدل والتسامح والرحمة. فبعد فتح عمر لفلسطين، عاش فيها كل من المسلمين والمسيحيين واليهود في سلام وانسجام. ولم يحاول المسلمون استخدام القوة لتحويل الناس عن دينهم، وعندما رأى الناس حقيقة الدين الإسلامي، اعتنقوه بكل إرادتهم.

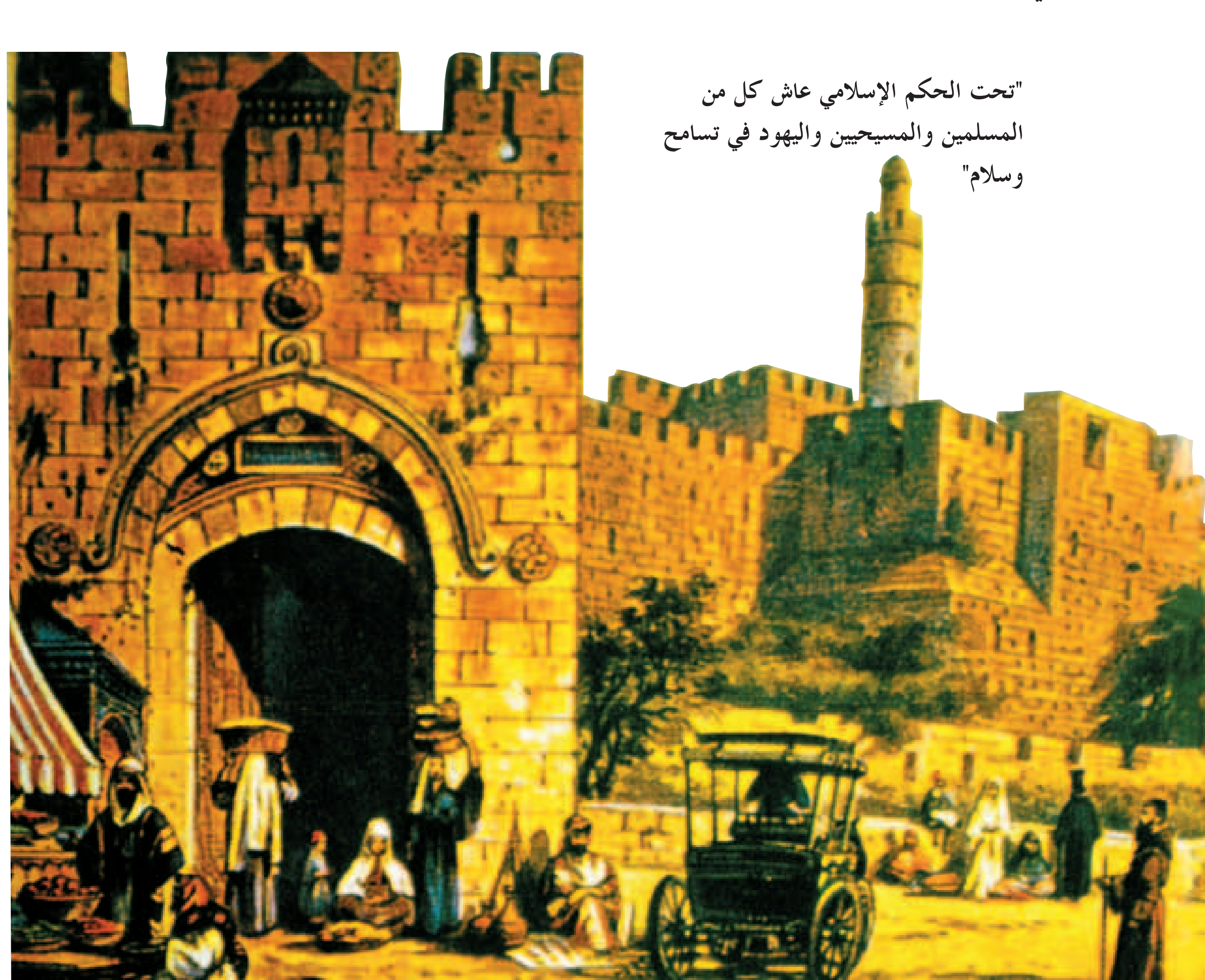
ساد السلام والتآلف فلسطين طوال فترة الحكم الإسلامي هناك.

ولكن في نهاية القرن الحادي عشر أتت قوة خارجية لتحتل المنطقة، وسلبت تلك المنطقة المتحضرة من القدس بكل وحشية وبربرية، وبشكل لم يحدث من قبل ولم ير مثله. وكان أصحاب هذه البربرية هم الصليبيون .



وحشية الصليبيّين

بينما كان أصحاب الأديان الثلاثة يعيشون معا بسلام في فلسطين، قرر مسيحيو أوروبا تنظيم حملة صليبية. وبناء على نداء البابا أوربان الثاني في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥م في مجلس كليرمونت، حُشد أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص من جميع أنحاء أوروبا لتحرير الأرض المقدسة واسترداد كنوز الشرق الأسطورية. وبعد رحلة طويلة ومرهقة، والكثير من المذابح على طول الطريق، وصل الصليبيون للقدس عام ١٠٩٩م . وسقطت المدينة بعد حصار دام حوالي خمسة أسابيع، ودخلها الصليبيون وقاموا بأعمال وحشية قلّ أن شهد العالم مثيلا لها. وتعرض جميع المسلمين واليهود في المدينة للقتل والتنكيل.



"تحت الحكم الإسلامي عاش كل من المسلمين والمسيحيين واليهود في تسامح وسلام"





في هذه المذبحة البشعة، تم القضاء على السلام والوئام الذي دام في فلسطين منذ عهد عمر بن الخطاب. وانتهك الصليبيون كل القيم الأخلاقية للمسيحية، دين الحب والرحمة، ونشروا الرعب باسم الدين.

عدل صلاح الدين الأيوبي

اتخذ الجيش الصليبي البربري من القدس عاصمة له، وأسست المملكة اللاتينية التي بدأت من فلسطين. وبالرغم من ذلك لم يدم وجود الصليبيين الذين جلبوا الوحشية معهم إلى فلسطين. فقد جمع صلاح الدين كل الممالك المسلمة تحت راية الجهاد، وهزم الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧ . وبعد المعركة أسر قائدي الجيش الصليبي، أرنولد والملك جودفري، وأحضرا أمام صلاح الدين. وقام صلاح الدين بقتل أرنولد الذي اشتهر بمذابحه الفظيعة ضد المسلمين، ولكنه أطلق سراح الملك جودفري الذي لم يرتكب الجرائم نفسها. وعرفت فلسطين مرة أخرى المعنى الحقيقي للعدل.

بعد معركة حطين، وفي نفس تاريخ ليلة الإسراء والمعراج، دخل صلاح الدين القدس وحررها بعد ٨٨ عاما من الاحتلال الصليبي. وكان الصليبيون قد قتلوا كل المسلمين في المدينة خلال هذه الأعوام، لذلك فقد خافوا أن يفعل بهم صلاح الدين

الشيء نفسه. ولكن على العكس، لم يؤذ صلاح الدين أي مسيحي داخل المدينة. بل والأكثر من ذلك أنه أمر الكاثوليك بترك المدينة، وسمح للمسيحيين الأرثوذكس، الذين لا ينتمون للصليبيين بالبقاء في المدينة وممارسة شعائر دينهم بكامل حريتهم.

ومن كلمات جون اسبوزيتو : "كان الجيش المسلم شهما في نصره كما كان متماسكا في المعركة. فقد احترم المدنيين، ولم يمس الكنائس أو الأضرحة ... وكان صلاح الدين صادقا في كلمته، رحيما تجاه المدنيين" [٢٤]

وصفت كارن ارمسترونج الغزو الثاني للقدس بهذه الكلمات:

"في الثاني من أكتوبر عام ١١٨٧م ، دخل صلاح الدين وجيشه القدس فاتحين، وبقيت القدس بعد ذلك مدينة مسلمة لمدة ٨٠٠ عام، ووفى صلاح الدين بعهده، وحكم المدينة طبقا لمبادئ الإسلام السامية . ولم ينتقم لمذبحة عام ١٠٩٩م، تماما كما أمر القرآن ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ (**النحل : ١٢٧**) وقد انتهى القتل بمجرد انتهاء الحروب: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (**البقرة: ١٩٣-١٩٤**) فلم يكن هناك سلب ونهب ولم يقتل مسيحي واحد . وتعمد أن يخفض الفدية ... وقد حزن وتأثر صلاح الدين من انفصال العائلات بعضها عن بعض بسبب الأسر، لذلك أطلق حرية العديد منهم، تماما كما أمر القرآن الكريم، وذلك بالرغم من معاناة أمناء صندوقه الصبورين. وبالمثل حزن أخوه العادل لحال السجناء الألف الذين طلبهم من صلاح الدين لقضاء احتياجاته الخاصة فأطلق سراحهم فورا. وقد ذهل كل الزعماء المسلمين برؤية أثرياء المسيحيين وهم يهربون بثرواتهم، وقد كان بإمكانهم افتداء كل السجناء. حتى البطريرك هيراكثيوس، دفع عشرة دنانير فدية شأنه شأن البقية. والأكثر من ذلك أنه زود بمرافق خاص لحراسة

كنزه خلال رحلته إلى بلده" [٢٥]

باختصار عامل صلاح الدين وجميع المسلمين، وهم في أوج انتصارهم، المسيحيين بالرحمة والعدل وبلا حدود، حتى أنهم اظهروا نحوهم رحمة أكثر من زعمائهم أنفسهم. وإلى جانب المسيحيين، عاش اليهود أيضا في سلام وأمن بعد فتح المسلمين للقدس. وقد عبر الشاعر اليهودي الأسباني المعروف يهودا الهاريزي عن مشاعره في أحد فقال:

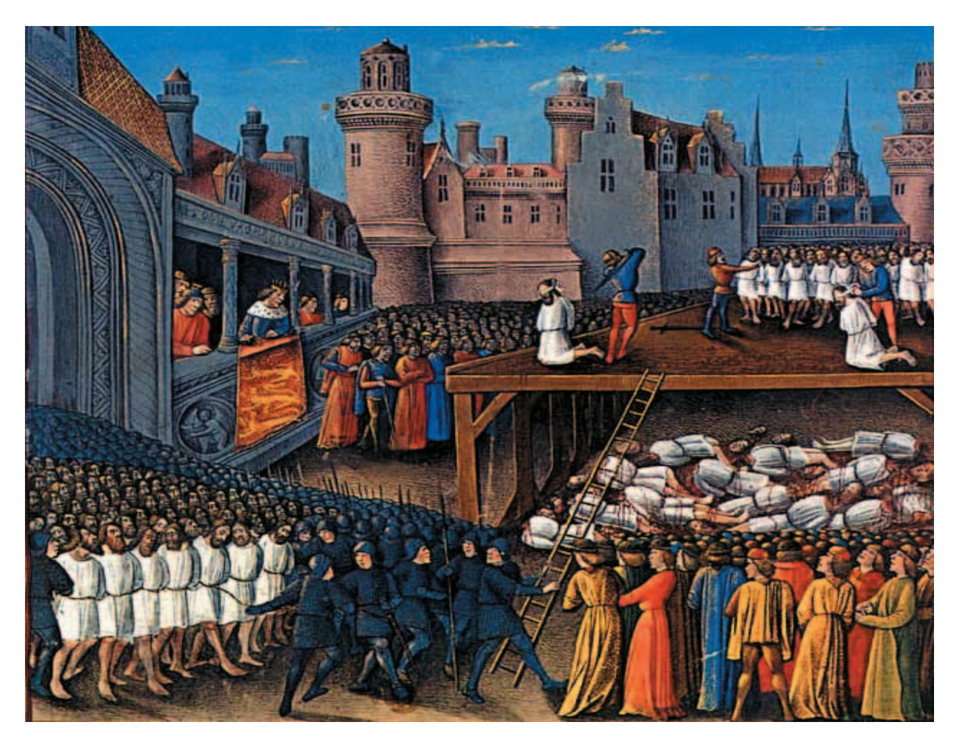
"شاء الله بأن لا تبقي القدس بأيدي أبناء يسوع، وهكذا في عام ١١٩٠، استحث الله روح صلاح الدين، ذلك الرجل العاقل الشجاع الذي أتى في جيش مهول، وحاصر فلسطين وفتحها وأعلنها صريحة مدوية أنه سيستقبل ويقبل كل أبناء إبراهيم، من أي مكان يأتوا منه. وهكذا فقد أتينا من كل ركن في العالم لنعيش هنا. ونحن الآن نعيش في ظل السلام "[٢٦]

بعد القدس، استمر الصليبيون في همجيتهم والمسلمون في عدلهم في مدن فلسطين الأخرى. وفي عام ١١٩٤م ، أسر ريتشارد قلب الأسد، الذي صور كبطل عظيم في تاريخ بريطانيا، والذي نفذ حكم الإعدام في ثلاثة آلاف مسلم ومسلمة ومن بينهم أطفال بكل وضاعة وحقارة. ورغم رؤية المسلمين لهذه الوحشية، إلا أنهم لم يردوا بنفس الطريقة، فقد التزموا بقول الله تعالى:

﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة : ٢)

ولم يلجأوا أبدا للعنف ضد المدنيين الأبرياء، حتى في حالات الضرورة القصوى، بل وحتى ضد الجيوش الصليبية المنهزمة".

وذكرت همجية الصليبين وعدالة المسلمين كحقيقة تاريخية: الحكم الذي بني على تعاليم الإسلام مكن أصحاب الديانات المختلفة من التعايش معا. واستمرت هذه الحقيقة لمدة ٧٠٠ عام بعد صلاح الدين، وخاصة خلال الحكم العثماني.



"أعدم الملك ريتشارد قلب الأسد، بلا رحمة ٣٠٠٠ مسلم من المدنيين، من بينهم العديد من النساء والأطفال".

حكم الإمبراطورية العثمانية العادل والمتسامح

في عام ١٥١٤م ، فتح السلطان سليم القدس والمناطق المحيطة بها، وبدأت ٤٠٠ سنة من الحكم العثماني في فلسطين. وكما في الممالك العثمانية الأخرى، تمتعت فلسطين بالسلام والاستقرار وتسامح أصحاب الديانات المختلفة فيما بينها.

وقد أديرت الإمبراطورية العثمانية بما يسمى بـــ"النظام القومي"، وكانت الميزة الأساسية لهذا النظام أنه سمح لذوي الديانات المختلفة التعايش معا طبقا لمعتقداتهم وبما لا يتعارض مع النظام القانوني. وقد وجد أهل الكتاب، المسيحيون واليهود،



"بالرغم من انتساب الكاثوليك والبروتستانت إلى الدين نفسه فقد حدثت عداوات كبيرة بينهما خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. ومازالت هذه العداوات متواصلة إلى حد الآن، وأكثر الفئات تضررا من هذه النزاعات هم الأطفال الأبرياء"

كل الأمان والحرية في الأراضي العثمانية.

والسبب الأكثر أهمية لذلك هو رغم أن الإمبراطورية العثمانية كانت دولة إسلامية حكمها المسلمون إلا أنهم لم يحاولوا إجبار المواطنين على اعتناق الإسلام. وكان هدف الدولة العثمانية توفير الأمن والأمان لغير المسلمين، وأن يشعروهم بالرضا والارتياح في ظل الحكم الإسلامي العادل.

في نفس الوقت كانت هناك دولة عظمى أخرى وكانت تعج بمشاهد الظلم والقسوة والتعصب. إنها مملكة أسبانيا التي لم تتحمل وجود المسلمين واليهود على أرضها وأوقعت في كلتا الجماعتين ظلما شديدا. وفي العديد من البلدان الأوربية



"كانت الإمبراطورية العثمانية تمثل دولة الإسلام، ورغم ذلك منحت الحريات الدينية. وقد وجدت فسيفساء لثقافات متعددة مسالمة داخل الأراضي العثمانية. وكما نرى في هذه الصورة ، حكمت الدولة مواطنيها طبقا لتعاليم الإسلام، وساعدت الفقراء منهم بغض النظر عن دينهم".



Kudüs'e Osmanlı çözümü

Ortadoğu barışının en zorlu gündem maddesini oluşturan Kudüsün statüsü ile ilgili, Türkiye'nin, Osmanlı'nın bölgede uyguladığı

Arap Dünyası, medeniyetin, hosgörünün ve adaletin bas tacı edildiği dönemin özlemi içinde

Osmanlı'yı arıyoruz

Mısır'ın tarih araştırmacıların

Osmanlı gitti terör başladı

Terörün kaynağı Balfour deklarasyonuna uzanıyor. Osmanlı'nın yıkılmasının ardından bölgede birçok aile devleti kuruldu. Daha sonra İsrail devleti kuruldu. Filistin ile İsrail arasındaki çatışmalarda 35 bin masum Filistinli öldü. Bugün Amerika'yı oluşturan üç büyük dindeki hangi insana sorarsanız onun Körfez savaşında Irak'ın bombalan-

Onu sadece Müslümanlar değil Hristiyanlar da özlüyor...

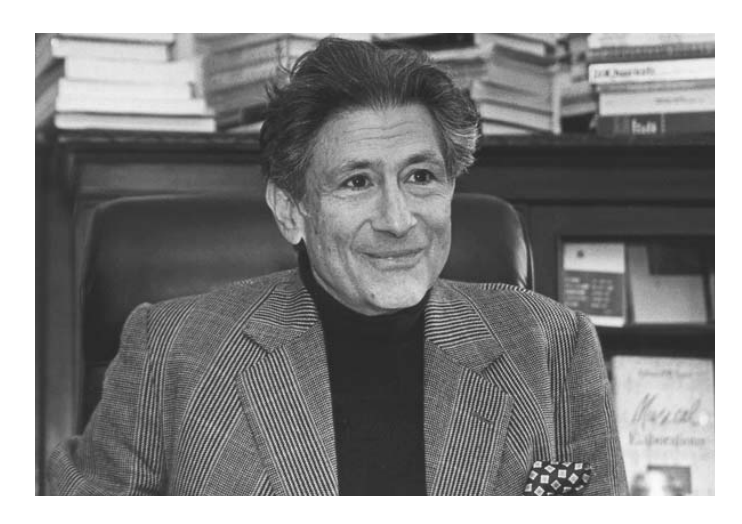
Balkanlar Osmanlı'ya hasret!

Yunanlı yazar Michel de Greece şunları söylemektedir: "Osmanlı Devleti'nin yıkılmasından çok üzüntü

"تعايش الثقافات المتعددة، رغم اختلافها، في الدولة العثمانية مثال واضح على السلام في الشرق الأوسط، حيث أسس الحكم على تعاليم القرآن الداعية للعدل والتسامح. ونرى في هذه الصورة بعض القصاصات من الأخبار والصحف والجرائد التركية حول الطبيعة المسالمة للحكم العثماني".

الأخرى اضطهد اليهود فقط لأنهم يهود (على سبيل المثال فقد سجنوا في أحياء اليهود) وفي أحيان أخرى كانوا ضحايا مذابح جماعية "مدبرة"" . وحتى المسيحيون لم يتمكنوا من التعايش مع بعضهم البعض: فقد وقعت أوروبا في حمام من الدم في القرنين ١٦ و ١٧ نتيجة القتال بين الكاثوليك والبروتستانت. وقد حولت حرب الثلاثون عاما من ١٦١٨ إلى ١٦٤٨م أوروبا إلى ساحة للقتال. وفي ألمانيا وحدها قتل ثلث السكان البالغ عددهم ١٥ مليون شخص.

في الحقيقة، في مثل هذه البيئة كان حكم الدولة العثمانية بلا شك حكما إنسانيا فريدا.



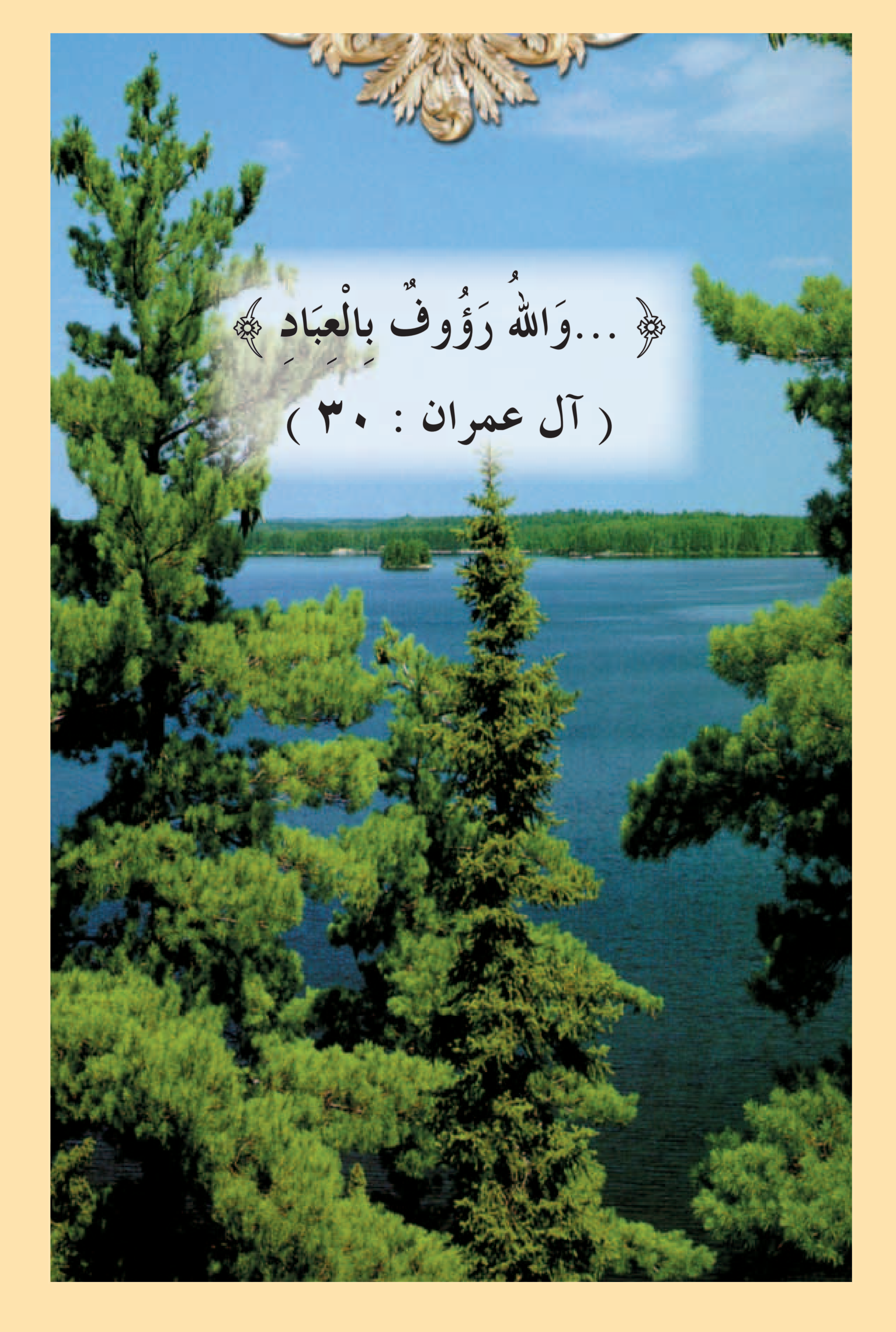
"إدوارد سعيد، خبير مشهور في أمور الشرق الأوسط"

وقد لفت العديد من العلماء والمؤرخين السياسيين الانتباه لهذه الحقيقة. واحد من هؤلاء هو العالم المشهور خبير الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا الأستاذ إدوارد سعيد، وهو في الأصل من القدس من عائلة مسيحية. وقد أكمل دراسته بعيدا عن موطنه في الجامعات الأمريكية. وفي مقابلة مع صحيفة هاإيرتز الإسرائيلية أوصى باتباع "النظام القومي العثماني" إذا ما أرادوا بناء سلام دائم في الشرق الأوسط، فقال:

" يمكن أن تعيش الأقلية اليهودية وسط العالم العربي كما تعيش أقليات أخرى. وقد نجح هذا التعايش في الإمبراطورية العثمانية في ظل "النظام القومي" حيث أظهروا إنسانية أكثر مما نظهره نحن الآن" ٢٧

يشهد التاريخ بأن الإسلام هو النظام العقائدي الوحيد الذي تظهر حكوماته في الشرق الأوسط عدلا وتسامحا ورحمة. وحتى الآن ليس هناك بديل عن الدولة الإسلامية العثمانية التي انتهت بانتهاء الحكم العثماني من المنطقة.

لهذا السبب فان الطريق لإحلال السلام بالشرق الأوسط هو اتباع نموذج الحكم العثماني الذي تميز بالتسامح والتآلف، وتلك هي التعاليم الأساسية للقرآن.


﴿ ...وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾
(آل عمران : ٣٠)



الجذور الحقيقية للإرهاب : الداروينية والمادية

يعتقد معظم الناس أن شارلس دارون هو أول من وضع نظرية التطور، وأنها ترتكز على الدلائل العلمية والتجارب والملاحظات. ولكن في الحقيقة لم يكن دارون هو منشؤها ولم ترتكز هذه النظرية على البرهان العلمي. فهي مبنية على مبدإ التكيف مع الطبيعة المأخوذ من الفلسفات المادية القديمة. فهي تستند، وبشكل أعمى على الفلسفات المادية ولا تُؤيّد بأي اكتشافات علمية . (يمكن الرجوع لكتاب هارون يحيى: "خداع نظرية التطور").

وهذا التعصب جلب على العالم العديد من الكوارث.

وبانتشار الداروينية والمادية معا تغيرت إجابة السؤال عن "ماهية

الإنسان" ؟ فقد بدأ الناس في الاعتقاد أن "الإنسان خلق بالصدفة، وهو حيوان يتطور من خلال الصراع من أجل البقاء" وهذا بعد أن كان الناس يعتقدون أن "الله هو الذي خلق الإنسان وبالتالي عليه أن يتبع تعاليم الله السامية". وقد دفع ثمنا باهظا نتيجة هذا الخداع الكبير. فقد استندت العديد من الأيدلوجيات المدمرة وآراء العالم البربري إلى النظرية المضللة "الصراع من أجل البقاء"، مثل العرقية والفاشية والشيوعية. سنناقش في هذا الجزء من الكتاب الكارثة الداروينية التي ظهرت للعالم ونكشف ارتباطها بالإرهاب، أحد أكبر المشاكل العالمية الهامة في وقتنا الحاضر.

كذبة دارون : "الصراع من أجل البقاء"

اعتمد دارون في نظريته على قاعدة أساسية واحدة: يعتمد تطور الكائنات الحية على الصراع من أجل البقاء. والبقاء للأقوى، والفناء والزوال للأضعف.

وطبقا لنظرية دارون هناك صراع ونزاع عنيف من أجل بقاء أبدي في الطبيعة حيث يتغلب القوي على الضعيف دائما، مما يمكن من حدوث التطور. والعنوان الفرعي الذي أعطاه لكتابه "أصل الأنواع" يوجز رأي دارون وهو "أصل الأجناس بالاختيار الطبيعي أو بحماية الأجناس الأقوى في الصراع من أجل البقاء".

علاوة على ذلك ، فقد افترض دارون أن "الصراع من أجل البقاء" قد طبق بين المجموعات الانسانية العنصرية. وطبق عليها الزعم الأسطوري، وكانت الأجناس الأقوى والأسمي منتصرة في هذا الصراع . والأجناس السامية المفضلة في نظر دارون هي الاجناس الاوروبية البيضاء. أما الأجناس الأفريقية والآسيوية فقد تخلفت في الصراع من أجل البقاء.

وذهب دارون بعيدا عندما افترض بأن هذه الأجناس ستفقد رغبتها في الصراع من أجل البقاء، وهكذا تختفي إلى الأبد:

"في المستقبل القريب إذا ما قيس بالقرون، بلا شك ستنقرض الأجناس البشرية المتحضرة وستحل مكانها الأجناس الهمجية في العالم كله. وفي نفس الوقت

ستفنى القرود البشرية بالتأكيد. وستتسع الفجوة بين الإنسان وأقرب أشباهه..." [٢٨]

يوضح عالم الإنسانيات الهندي لاليتا فيديارذي كيف أن نظرية دارون للتطور فرضت العرقية على العلوم الاجتماعية :

"رحب علماء اليوم بحرارة بنظرية البقاء للأصلح لدارون، ويعتقدون أن البشرية قد أنجزت مستويات متعددة من التطور والتي توجت في حضارة الرجل الأبيض . وقد قبل أغلبية العلماء الغربيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حقيقة العرقية" [٢٩]

مصادر إلهام دارون :
نظرية عدم الرحمة عند مالثيس

كان مصدر الهام دارون في هذا الموضوع هو كتاب الاقتصادي البريطاني توماس مالثيس "مقال في قواعد الانفجار السكاني". وطبقا لحساباته الخاصة قال مالثيس إن الزيادة في السكان سيكون سريعة، ومن وجهة نظره الخاصة فالمؤثرات الرئيسية التي حافظت على توازن زيادة السكان هي الكوارث مثل الحروب والأمراض والمجاعات. وباختصار ، وطبقا لهذا الرأي القاسي، كان يجب أن يموت بعض الناس ليعيش الآخرون. فجاء الوجود ليعني حربا دائمة. وقد قبلت أفكار مالثيس في القرن التاسع عشر بشكل واسع. وقد دعم أفكاره مثقفو الطبقة الراقية من الأوربيين بالتحديد. وفي مقال "الخلفية العلمية للنازية (التطهير العرقي) " وصف جيري بيرجمان أهمية اعتناق أوربا في القرن ١٩ لأفكار مالثيس



توماس مالثيس

حول الزيادة السكانية:

"في أوائل القرن التاسع عشر، اجتمع أفراد الطبقات الحاكمة من كامل أوربا وذلك لمناقشة "مشكلة السكان" وابتكار الطرق اللازمة لتطبيق اقتراح مالثيس، بزيادة معدل وفيات الفقراء: **"بدلا من توصية الفقراء بالنظافة يجب أن نشجع العادات المضرة. ويجب أن نجعل الشوارع أضيق في مدننا، ونحشد الناس في المنازل لنساعد على انتشار الطاعون. ويجب أن نبنى القرى في بلادنا بجوار برك راكدة، ونوصي بالاستقرار خاصة في أماكن المستنقعات المضرة بالصحة ... الخ "** [٣٠]

وكنتيجة لهذه السياسة القاسية سوف يفنى الضعفاء الذين فقدوا الرغبة في



"تطبيق نظرية مالثيس في القرن ١٩ بضرورة الصراع مدى الحياة جلب البؤس للأطفال والفقراء العاجزين في إنجلترا. والدين وحده هو الذي يضمن حماية الأطفال. ويمكن العيش في حياة طيبة فاضلة خالية من البؤس والألم فقط إذا ما اتبعنا تعاليم الدين السمحة ومارسناها"

الصراع من أجل البقاء ، وهكذا سيتوازن ذلك التزايد السريع في عدد السكان. وقد نفذ ما يسمي بـــ"اضطهاد الفقراء" في القرن ١٩ في بريطانيا.

وعندما بدأت المتطلبات الصناعية بدأ عمل الأطفال ذوي الثمانية والتسعة أعوام لمدة ستة عشر ساعة يوميا في مناجم الفحم، حيث مات الآلاف نتيجة ظروف العمل القاسية. وهكذا أدت دعوة مالثيس إلى الصراع من أجل البقاء إلى حياة مليئة بالألم لملايين من البريطانيين.

طبق دارون فكرة الصراع علي الطبيعة كلها متأثرا بهذه الأفكار، واقترح بأن الأقوى والأصلح هو المنتصر في هذا الصراع من أجل البقاء. وعلاوة على ذلك ، فقد ادعى بأن الصراع من أجل البقاء هو قانون مبرر وثابت في الطبيعة. ومن ناحية أخرى دعي الناس لترك معتقداتهم الدينية وإنكار الخلق، وهكذا تُهدم كل القيم الأخلاقية التي ربما تكون عائقا أمام الصراع المرير من أجل البقاء.

في القرن العشرين دفعت الإنسانية ثمنا باهظا لانتشار هذه الأفكار التي قادت الناس إلى العنف والقسوة.

دور نظرية دارون في التحضير للحرب العالمية الأولى

بدأ ظهور تأثير نظرية الصراع من أجل البقاء على التراث الأوروبي نتيجة الهيمنة الداروينية. وبدأت الدول الأوربية المستعمرة بالتحديد في وصف الدول التي يريدون استعمارها بأنها "دول متخلفة" مبررين ذلك بالنظرية الداروينية.

وقد كانت الحرب العالمية الأولى عام



"أوروبا منذ ١٨٧٠ ، لأستاذ التاريخ الإنجليزي جيمس جول"

"استحوذت نظرية دارون "الصراع من اجل البقاء" على فلاسفة وزعماء وسياسيو أوروبا في العقد الأول من القرن العشرين. وكان حماسهم بداية لحرب كبرى، تلك الكارثة العظيمة التي أودت بحياة ١٠ ملايين إنسان".

١٩١٤ هي التأثير السياسي الأكثر دموية للداروينية .

في كتابه " أوروبا منذ ١٨٧٠" ، يوضح أستاذ التاريخ البريطاني الشهير جيمس جول أن واحدا من أهم العوامل التي أعدت العالم للحرب العالمية الأولى هو إيمان حكام أوروبا في ذلك الوقت بنظرية دارون.

ومن المهم أن ندرك كيفية اعتناق زعماء أوروبا لنظرية الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصح في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى. وكمثال على ذلك، كتب البارون فرانز كونراد، رئيس هيئة الأركان المجري في مذكراته بعد الحرب:

"بالتأكيد تعمل الأديان المُحبة للبشر والتعاليم الأخلاقية والمذاهب الفلسفية على إضعاف ذلك الصراع البشري المتوحش من أجل البقاء، لكنهم لن ينجحوا في إضعافه ما دام موجودا كدافع ومبرر. وطبقا لهذا المبدأ وقعت الحرب العالمية الأولى كنتيجة للقوى المحفزة في حياة الدول والناس، تماما مثل العاصفة الرعدية التي يجب أن تنطلق بمحض طبيعتها" .

وفي ظل هذه الأيدلوجية، أصبح مفهوم إصرار كونراد على الحاجة لحرب وقائية للحفاظ على الحكم الملكي المجري.

وقد رأينا أن هذه الآراء لم تنحصر فقط في الميادين العسكرية، فقد اهتم ماكس ويبر كثيرا بالصراع الدولي من أجل البقاء . ومرة أخرى كتب كورت ريزلير المساعد والمستشار الشخصي للمستشار الألماني يثوبالد فون بيثمان ، في عام ١٩١٤ :

"إن العداوة الدائمة المطلقة الملازمة لطبيعة العلاقات بين الناس، والتي نلاحظها في كل مكان، ليست نتيجة إفساد الطبيعة البشرية، لكنها جوهر العالم ومصدر الحياة نفسها" [٣١]

ربط الجنرال فريدريك فون بيرناردي بين الحرب وقوانين الصراع في الطبيعة. فقد أعلن أن الحرب "ضرورة بيولوجية" وهي "ضرورية تماما مثل صراع عناصر الطبيعة" وهي "لا تعطي قرارا بيولوجيا صحيحا حيث ترتكز قراراتها على طبيعة الأشياء" [٣٢]





"الفاشية التي بنيت على مفاهيم دارون، كانت السبب في قتل ملايين الأبرياء. وقد جرت هذه العقيدة المروعة العديد من بلدان العالم إلى دوامة الدمار والبؤس".

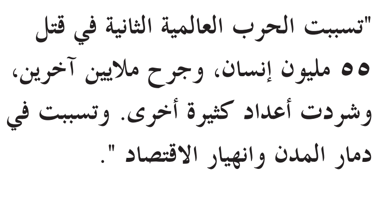


وكما رأينا، فقد اندلعت الحرب العالمية الأولى بسبب المفكرين والحكام والرؤساء الأوربيين الذين رأوا الحرب وإراقة الدماء والمعاناة نوعا من التطور، واعتقدوا أنها قانون الطبيعة الثابت. والمذهب الفكري الذي أدى بكل هذا الجيل إلى ذلك الدمار لم يكن سوى مفاهيم دارون "الصراع من أجل البقاء" و "البقاء للأصلح".

تركت الحرب العالمية الأولى خلفها ٨ ملايين قتيل، ومئات من المدن المخربة، وملايين المشردين والعاطلين والمعوقين والمصابين. والسبب الأساسي للحرب العالمية الثانية، التي اندلعت بعد ذلك بواحد وعشرين عاما وخلفت ٥٥ مليون قتيل كان مستندا أيضا على الداروينة.







"تسببت الحرب العالمية الثانية في قتل ٥٥ مليون إنسان، وجرح ملايين آخرين، وشردت أعداد كثيرة أخرى. وتسببت في دمار المدن وانهيار الاقتصاد ".



الطريق الذي مهدت له الداروينية: الفاشية

يمكن أن نرى تأثير داروين القوي في المذهب النازي. فعندما ندرس تلك النظرية التي اعتنقها هتلر وألفريد روزنبيرج، سنصادف مفاهيم مثل "الاختيار الطبيعي" و"القتل الانتقائي" و"الصراع بين الأجناس من أجل البقاء" والتي تكررت مئات المرات في أعمال داروين. وعندما سمى كتابه "كفاحي" نرى أن الصراع الدارويني من أجل البقاء ومبدأ البقاء للأصلح هما الذان ألهما هتلر. فهو يتحدث في هذا الكتاب خاصة عن الصراع بين الأجناس فيقول:

"سيتوج التاريخ إمبراطورية الألفية الجديدة بالعظمة والتميز، العظمة التي تستند على التسلسل العنصري والذي حددته الطبيعة نفسها" .[٣٣]

وفي عام ١٩٣٣ خلال اجتماع حزب نورمبرج صرح هتلر قائلا:

"يجب أن يخضع الجنس الأدنى للجنس الأسمى، وهذا هو ما نراه في الطبيعة وهو ما نعتبره الشيء الوحيد المعقول" [٣٤]

تأثر النازيون بالدارونية هي الحقيقة التي قبلها كل المؤرخين والخبراء تقريبا. بين بيتر كرسب، مؤلف كتاب "صعود الفاشية"، هذه الحقيقة كالتالي :

"في بداية نشرها سخر الناس من نظرية دارون التي تدعي أن أصل الإنسان قرد، ولكنها انتشرت وقبلت بعد ذلك. وقد



"النازية ، وهي مزيج من الدارونية الاجتماعية والوثنية الجديدة، قتلت الملايين ونشرت الرعب في قلوب الآخرين"

حرف النازيون نظرية دارون واستعملوها لتبرير الحروب العرقية"[٣٥]

يصف المؤرخ هيكمان تأثير الدارونية على هتلر كالتالي:

"كان هتلر شديد الإيمان بالتطور . ومهما كان غامضا ومعقدا ومختلا عقليا، إلا أنه كان متأكدا من أهمية مفهوم الصراع، وقد عرض بوضوح عددا من أفكاره التطورية في كتابه "كفاحي"، خاصة تلك التي تؤكد الصراع والبقاء للأصلح وإبادة الضعيف ليصبح المجتمع أفضل" [٣٦]

هتلر، الذي ظهر بهذه الآراء، قاد العالم إلى عنف لم يسبق له مثيل في أي مكان. وقد تعرضت العديد من المجموعات العرقية والسياسية، وخاصة اليهود، للقسوة والمذابح البشعة في معسكرات الاعتقال النازية. وقد قضت الحرب العالمية الثانية والتي بدأت بالغزو النازي على حياة ٥٥ مليون شخص. وكان مفهوم الدارونية "الصراع من أجل البقاء" هو السبب وراء تلك المأساة الكبرى في تاريخ الإنسانية.

التحالف الدموي: الدارونية والشيوعية

إذا كانت الفاشية هي الجناح الأيمن للدارونية الاجتماعية، فإن الشيوعية قد مثلت الجناح الأيسر لها . وقد كان الشيوعيون دائما من أعنف المدافعين عن النظرية الدارونية.

ترجع العلاقة في الأصل إلى مؤسسي هذه المذاهب. فقد قرأ كل من ماركس وانجليس كتاب "أصل الأجناس" لدارون عندما ظهر مباشرة، واندهشوا من فكرة المادية الجدلية. وتوضح المراسلات بين ماركس وانجليس رأيهما في نظرية دارون على أنها "تحتوي أساس الشيوعية في التاريخ الطبيعي". وفي كتابه "جدل الطبيعة" الذي كتبه نتيجة تأثره بدارون، كان انجيلس كثير الإعجاب به. وحاول أن يضيف مساهمته الخاصة إلى النظرية في فصل "دور العمال في التحول من قرد إلى إنسان"

الشيوعيون الروس الذين اتبعوا خطوات ماركس وانجليس، مثل بليخانوف ولينين وتروتسكي وستالين، اتفقوا كلهم مع نظرية دارون للتطور. بليخانوف ، الذي اعتبر مؤسس الشيوعية الروسية، اعتبر الماركسية مثل **"الدارونية في تطبيقها لعلم**



"زعماء الشيوعية، الذين بنوا أفكار المجتمع الانساني استنادا على الدارونية، سيسقطون من ذاكرة التاريخ لما سببوه من ألم شديد بسياساتهم القاسية ".

الاجتماع"[٣٧]

قال تروتسكي **"اكتشاف دارون هو أهم نصر للجدل في موضوع الأصل"** [٣٨]

وقد كان لتعاليم دارون الدور الرئيسي في تشكيل كوادر الشيوعية. فعلى سبيل المثال، يلاحظ المؤرخون حقيقة أن ستالين كان شابا متدينا، ولكنه أصبح ملحدا بعد قراءته كتب دارون.

ماو تسيتونغ، مؤسس الحركة الشيوعية في الصين، والذي قتل الملايين من الناس، صرح علنا قائلا: **"تأسست الاشتراكية الصينية على نظرية دارون للتطور"**[٣٩]

جيمس رييف، المؤرخ بجامعة هارفارد، يناقش في بحثه "الصين ودارون" بالتفصيل تأثير الدارونية على ماو والشيوعيين الصينيين.

باختصار، هناك صلة وطيدة بين نظرية التطور والشيوعية. تدعي النظرية بأن خلق الحياة والأحياء كان نتيجة الصدفة، وتدعم ما يسمى بالمساندة العلمية للإلحاد. والشيوعية عقيدة ملحدة، ولهذا السبب فهي ترتبط بشكل قوي بالدارونية. وعلاوة على ذلك تقترح نظرية التطور أن التطور في الطبيعة يعزى إلى الصراع "الصراع من أجل البقاء"، بل وتدعم مفهوم الجدل الذي يمثل أساس الشيوعية.

إذا نظرنا في مفهوم الشيوعية "الصراع الجدلي" والذي قتل بسببه ١٢٠ مليون إنسان خلال القرن العشرين على أنه ماكينة قتل، عندها فقط يمكن أن نجيد فهم أبعاد الكارثة الدارونية التي حلت بالعالم.

الصراع الجدلي
لم يطوّر المجتمعات بل دمرها

وكما رأينا سابقا، فإن الدارونية تفترض أن الصراع بين الكائنات هو سبب تطورها وهذا ما أكسبها ما يسمي بالانتشار العلمي لفلسفة المادية الجدلية.

كما يمكن أن يفهم من اسمها، المادية الجدلية ترتكز على فكرة الصراع. وقد أذاع كارل ماركس مؤسس هذه الفلسفة تلك الفكرة :**"إن لم يكن هناك صراع ومعارضة، ظل كل شيء كما هو". وقال أيضا: "القوة المولدة لكل مجتمع قديم تحمل معها مجتمعا جديدا"** [٤٠]

وبقوله هذا فإنه يدعو الناس للعنف والحرب وإراقة الدماء من أجل التطور.

كان لينين أول من طبق نظرية ماركس في المجال السياسي. وقد كان لينين يؤيد فكرة مفادها أنه: "يحدث التقدم كنتيجة لصراع الأضداد" ويدعي أن الناس ذوي الأفكار المختلفة يجب أن يكونوا في صراع دائم. وقد ذكر لينين مرارا أن هذا الصراع يتطلب إراقة دماء، أي الإرهاب. وقبل الثورة البلشيفية بأحد عشر عاما، نشر لينين مقالا بعنوان "حرب العصابات" في البروليتاري عام ١٩٠٦، وهي توضح الطرق الإرهابية التي تبناها:

" تلك الظاهرة التي نهتم فيها بالكفاح المسلح، قادتها الجماعات الصغيرة.



"طبقت الشيوعية الفكرة الداروينية للصراع على صراع الطبقات، وهكذا قبلت القتل وإراقة الدماء كطرق شرعية للسيطرة"





من الطبيعي أن توجد الآراء المختلفة، لكنها لا يجب أن تكون سببا للنزاع والحروب بين الناس. فالاحترام والتسامح المتبادل يمكن أن يضمن الاتفاق والمشاركة بين الفئات المختلفة. وتوضح تعاليم القرآن الكريم للناس حياة السعادة والطمأنينة، فالصراع الجدلي لا يجلب إلا الشقاء الدائم والموت والدمار".

حيث ينتمي البعض منها إلى المنظمات الثورية، والبعض الآخر (وهو يمثل الأغلبية في بعض أنحاء روسيا) لا ينتمي إلى أي منظمة ثورية. ويتبع الكفاح المسلح هدفين مختلفين، يجب أخذهما في الاعتبار: يهدف هذا الكفاح بالدرجة الأولى إلى اغتيال الأفراد والزعماء ورجال الشرطة والجيش. وفي المرتبة الثانية، يهدف إلى مصادرة الأموال النقدية من كل من الحكومة والأفراد. حيث تذهب تلك الأموال المصادرة إلى خزينة الحزب وتخصص للتسليح والإعداد للتمرد وتدريب الأفراد الذين يقومون به"[٤١]

في القرن العشرين، كانت هناك واحدة من أشهر المعتقدات التي قبلت بها الشيوعية، وهي الفاشية. المهم في الموضوع، أنه برغم إعلان الفاشية معارضتها للشيوعية، إلا أنها آمنت تماما مثل الشيوعية بمفهوم الصراع. آمن الشيوعيون بضرورة الصراع الطبقي، وببساطة غير الفاشيون مجال الصراع حيث ركزوا على الصراع بين الأجناس والدول. ويعتبر المؤرخ الألماني هينريتش تريتشك، واحد من أهم مصادر الأفكار النازية ومن أبرز العنصريين، فقد كتب يقول: **"لا يمكن أن تزدهر الأمم بدون صراع قوي، تماما مثل نظرية الصراع من أجل البقاء لداروين"**[٤٢]

وقال هتلر أيضا معتمدا على مفاهيم داروين للصراع:

"في كل معالم الطبيعة صراع هائل بين القوة والضعف ونصر أبدي للقوي على الضعيف. وكان من الممكن انهيار الطبيعة كلها لو لم يكن الأمر كذلك، فمن يحيا يجب أن يقاتل. ومن لا يرغب في القتال في هذا العالم، حيث الصراع هو قانون الحياة، ليس له الحق في الوجود"[٤٣]

وقد آمنت هذه المعتقدات الداروينية الاجتماعية بضرورة الصراع وإراقة الدماء من أجل إنشاء مجتمع قوي، وما فعلوه وسببوه في القرن العشرين لا يخفي على أحد. فق قتلت أعداد لاحصر لها من الأبرياء، وجرح وعوق آخرون، وانهارت اقتصاديات وطنية، وأنفقت الأموال التي كان يجب أن تصرف على الصحة والأبحاث والتكنولوجيا والتربية والفن، على الأسلحة وتضميد الجراح التي سببتها، وإعادة بناء المدن المخربة. وأصبح واضحا بمرور الوقت أن ذلك الصراع والإرهاب لم يرق

بالتطور الإنساني بل على العكس أدى إلى دماره.

بالتأكيد هناك تناقضات في العالم. كما في الطبيعة هناك نور وظلمة، ليل ونهار، حر وبرد ، لذا فهناك اختلافات في طرق وممارسة وتطبيق الأفكار المختلفة. ولكن التناقض في الأفكار لا يستوجب الصراع. بل على العكس، إذا ما قوبلت هذه التناقضات بالتسامح والسلام والتفاهم والحب والرحمة فإنه من الممكن إنجاز نتائج جيدة جدا. فكل شخص يقارن فكرته الخاصة بأفكار الآخرين ربما يطور فكرته أو يرى نقائصها فيعالجها. فهؤلاء الذين يدافعون عن الآراء المعارضة يتمكنون من تبادل الأفكار أثناء الحديث أو ينشغلون بالنقد البناء. لذا فإن الشخص المتواضع المتسامح المسالم المخلص الذي يتبع تعاليم القرآن الكريم هو فقط من يستطيع تطوير هذا التقارب والتفاهم.

أن تقتل إنسانا أو تسيء إليه بسبب أفكاره المختلفة، أو لأنه يؤمن بدين مختلف أو حتى لأنه ينتمي إلى جنس مختلف، عمل قاس وغير مقبول. لهذا السبب وحده، نرى على مر التاريخ وفي جميع أنحاء العالم كيف أن أبناء نفس الأرض يتصارعون مع بعضهم البعض حتى الموت ويقتل كل منهم الآخر بلا رحمة. ونرى أناسا من بلدان وجنسيات مختلفة يذبحون، بمن فيهم النساء والأطفال ، بشكل عشوائي. إن الشخص الوحيد الذي يمكنه فعل ذلك هو الذي يخلو قلبه من أية إنسانية. فهو عنده مجرد حيوان مفكر. وهو الشخص الذي لا يراعي الله في أعماله أو حتى لا يعتقد في وجوده.

ويكشف لنا القرآن الكريم أفضل المواقف التي يمكن أن نتخذها نحو الأفكار المعارضة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الخلاف الذي حدث بين موسى وفرعون. وبالرغم من قسوة وعدوانية فرعون، فقد أرسل الله موسى يدعوه لدينه عز وجل، ووضح لموسى الأسلوب الذي يتعين اتباعه فقال تعالى:

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾
(طه : ٤٣-٤٤)

وقد أطاع موسى أوامر الله وشرح لفرعون الدين الحقيقي بصبر عظيم، وذلك لكي ينهي فرعون إنكاره لوجود الله وقسوته على الناس. وبالرغم من ذلك، اتخذ فرعون موقفا عدائيا نحو موسى الصبور النبيل وهدد بقتله هو ومن يتبعه. ولكن في النهاية خاب فرعون وخسر سعيه، فقد غرق واتباعه بينما انتصر موسى ومن معه.

وكما يوضح هذا المثال، انتصار رأي أو فكر من أجل التطور لا يأتي أبدا من خلال العداوة أو العدوان. ويعرض الخلاف بين موسى وفرعون درسا من دروس التاريخ العظيمة: فالمنتصر ليس من يتبع الصراع والظلم، ولكن المنتصر من يتبع طريق السلام والعدل. لذا فإن ممارسة المبادئ والأخلاقيات الرفيعة تظهر حسناتها في الدنيا والآخرة.



"قد يكون هناك خلاف بين الدول أو المجتمعات، ولكن الصراعات والحروب لا تحل المشاكل. ويعلمنا القرآن الكريم أنه يجب حل هذه الخلافات بالصبر المتبادل والتسامح والرحمة والتفاهم".

الداروينية والإرهاب

وكما رأينا حتى الآن، فإن الداروينية هي أصل كل معتقدات العنف التي تسببت في كوارث للبشرية في القرن العشرين، فالمفهوم الأساسي وراء هذه المعتقدات والأساليب هو "قتال من ليس منا". وهناك اعتقادات وآراء وفلسفات مختلفة في العالم. ومن الطبيعي جدا أن تتميز هذه الأفكار المتنوعة بمعارضة بعضها البعض. و يمكن أن تنظر هذه الاختلافات في الآراء إلى بعضها بإحدى طريقتين :

١.احترام وجود المعارضة ومحاولة تأسيس حوار معها. وتلك هي الطريقة الإنسانية. وتتوافق هذه الطريقة مع تعاليم ومبادئ القرآن الكريم.

٢.قتال الآخرين ومحاولة الاستفادة من تدميرهم، بمعني آخر، التصرف مثل حيوان طائش. وتلجأ المادية إلى هذه الطريقة التي تعتمد على الإلحاد.

فذلك الرعب الذي نسميه الإرهاب هو نتاج للطريقة الثانية.

وعندما نأخذ في الاعتبار ذلك الخلاف بين الطريقتين يمكن أن نرى مدى تأثير فكرة كون :"الإنسان حيوان مقاتل"، تلك الفكرة التي فرضتها الداروينية على الناس بشكل لا شعوري.

ربما لم تسمع تلك الجماعات ويسمع أولئك الأفراد الذين يلجئون للعنف والصراع عن الداروينية شيئا، ولكن في النهاية هم يتفقون تماما مع المبادئ الفلسفة الداروينية. وما يدفعهم للإيمان بصحة هذه الآراء هو تلك الشعارات التي تستند عليها الداروينية مثل "البقاء للأقوى " و "الأسماك الكبيرة تبتلع الصغيرة" و "الحرب هي الفضيلة" و "يتقدم الإنسان بشن الحروب". وعند إبعاد الداروينية نجد أن هذه الشعارات قد بقيت كلمات فارغة.

وفي الحقيقة، بإبعاد الداروينية، لن نجد أي فلسفة تؤيد الصراع. فالأديان الثلاثة المقدسة التي يعتنقها معظم سكان العالم وهي الإسلام والمسيحية واليهودية ترفض العنف وتحض على السلام والوئام وتحرم قتل الأبرياء أو تعريضهم للمعاناة والظلم



"إن تعاليم القرآن الكريم ومبادئه وأخلاقياته هي السبيل الوحيد لضمان حياة اكثر استقرارا للأجيال القادمة"

والتعذيب. فالعنف والصراع والمفاهيم الشاذة والمنبوذة، تنتهك المبادئ الأخلاقية التي أرشد الله تعالى الإنسان إليها. وبالرغم من ذلك تظهر الداروينية الصراع والعنف والقتل على أنها مفاهيم مبررة وصحيحة وطبيعية ولابد من وجودها.

لهذا السبب يرتكب البعض أعمال الإرهاب تحت اسم الدين مستخدما مفاهيم ورموز الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، ولكننا على يقين بأن هؤلاء لا ينتمون إلى أي من تلك الأديان. بل هم داروبيون حقيقيون. فهم يختبئون تحت عباءة الدين، ولكنهم ليسوا مؤمنين حقيقيين حتى وإن ادعوا أنهم يخدمون الدين، ولكنهم في الحقيقة أعداء للدين والمؤمنين، وذلك لانهم يرتكبون جرائم يشدد الدين على تحريمها، بل ويسيئون للدين أمام الناس.

لهذا السبب، فإن جذور الإرهاب التي ابتلي بها عالمنا ليست في أي من الأديان المقدسة، ولكنها من الإلحاد والذي نسميه في وقتنا الحاضر: "الداروبية والمادية".

كل من يرغب في السلام والطمأنينة عليه إدراك خطر الداروِنية

حل هذه المشكلة يعتمد بشكل أساسي على الحرب بوجه خاص ضد الأكاذيب والتخلص من تلك الأفكار. فعلى سبيل المثال قد يسعى الشخص بجد لتنظيف البيئة المحيطة به من خلال جمع النفايات في صناديق، ولكن ستظل رائحة صناديق النفايات كريهة. مما يعني أن الحلول ستكون قصيرة الأجل. ويكمن الحل الحقيقي في التنظيف الشامل لمصدر النفايات وإزالتها بالكامل. بمعني آخر، فهذا الأمر يشبه قضاء سنوات في تنظيف مزرعة من الأفاعي السامة، وتركها تهرب، ثم نتعجب من رؤيتنا لهذه الأفاعي تضر الناس من حولنا مرة أخرى. فالشيء المهم هو أن نقضي على تلك الأفاعي بالدرجة الأولى.

ولذلك، في الحرب على الإرهاب يتم البحث عن الإرهابيين واحدا تلو الآخر لمعاقبتهم، ولكن هذا الحل غير مؤثر و غير ناجح و غير دائم. و الطريق الوحيد لاستئصال الإرهاب كليا من على وجه الأرض هو أن نحدد المصادر الأساسية التي تصنع الإرهابيين والقضاء عليها. ومن ناحية أخرى، تعتبر المعتقدات الخاطئة والتربية السيئة التي تمارس في ضوئها مصدرا مهما من مصادر الإرهاب.

في وقتنا الحالي، تعتبر الداروينية مادة أساسية في المناهج التعليمية في أكثر بلدان العالم. وهي تدرس باعتبارها حقيقة علمية.

فالصغار لا يدركون أن الذي خلقهم هو الله، وهو من وهبهم الروح والحكمة والضمير. ولا يخبرهم أحد أنهم سيحاسبون يوم القيامة على أعمالهم ويعاقبون بجهنم أو يكافئون بالجنة والخلود. بل على العكس فهم يلقنون أنهم أحفاد مخلوقات كانت حيوانات، وأنها جاءت إلى الوجود عن طريق المصادفة العشوائية.

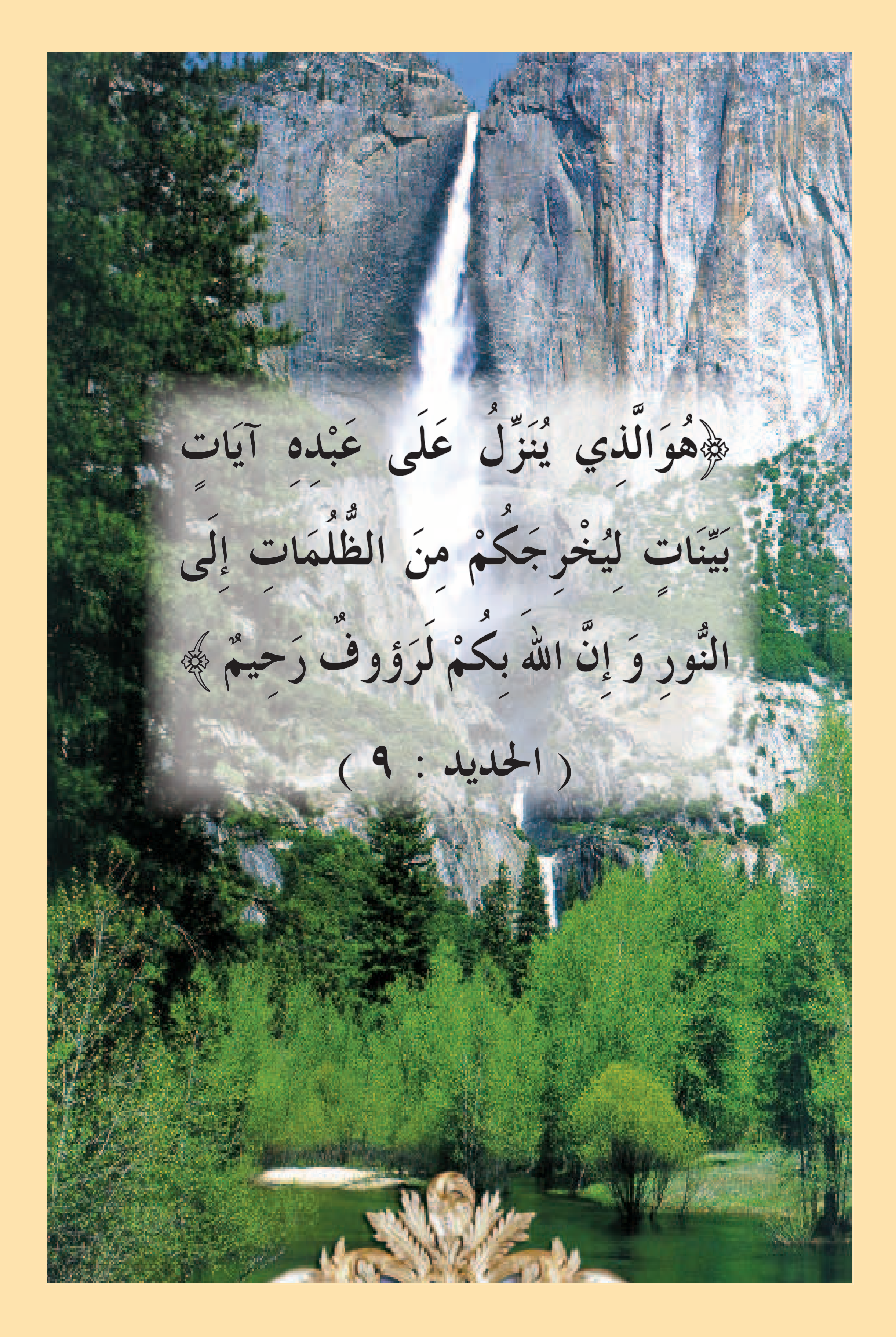
وفي ضوء هذا التلقين يعتبر هؤلاء الصغار أنفسهم مخلوقات ضالة غير ملتزمة أمام الله ويرون أن بقاءهم ونجاحهم في المستقبل لا يأتي إلا من خلال الصراع.

وبعد هذه المرحلة، يصبح من السهل غسل دماغ هؤلاء البشر، والذين لقنوا تلك الأفكار بالفعل خلال دراستهم وتحويلهم لأعداء للإنسانية يملكون ما يكفي من القسوة لقتل الأطفال الأبرياء. ويسهل لأي عقيدة مضللة جذب مثل هؤلاء الصغار. بل ويمكن أن يقوموا بأفعال قاسية وعنيفة تحت تأثير هؤلاء الإرهابيين. فالفاشية والشيوعية والعنصرية هي جماعات إرهابية تواجدت منذ القرن التاسع عشر كنتاج لمثل هذا المنهج في التربية.

وتتمثل الخسارة الكبرى الثانية لمثل هذا النظام في التربية في البعد تماما عن الدين، فقد انحصر العلم بالدين بين غير المتعلمين. وهكذا أصبح المتعلم بعيدا تماما عن الدين بفعل الداروينية — المادية، وأصبح الدين شيئا مقترنا بغير المتعلمين. وذلك هو سبب تطور الأفكار الخاطئة المؤيدة للخرافات والتي سمحت لمن يناقضون الدين بالسيطرة بسهولة تحت اسم الدين.

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر الأخيرة هي أوضح مثال على ذلك. فلا يمكن لمن يخاف الله ويحبه ويتوقع حسابه على أعماله أن يرتكب مثل هذه الأعمال التي تترك خلفها آلاف الجثث لأبرياء وآلاف الجرحى واليتامى من الأطفال. فالمؤمن يعلم أنه سيحاسب أمام الله على كل ضرر ألحقه بإنسان وأن كل ذنب سيصبح مصدرا لعذابه في جهنم.

ونستنتج من هذا أن السبيل الأمثل للقضاء على الإرهاب هو إنهاء التربية الداروينية المادية، وتربية الصغار على مناهج مستندة على الاكتشافات العلمية الحقيقية وأن نغرس فيهم الخوف من الله والرغبة في التصرف بحكمة وتأن. وستكون ثمار مثل هذه التربية جماعة شعارها التسامح والسلام وبالتالي يكونون جديرين بالثقة.


﴿هُوَالَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَ إِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾
(الحديد : ٩)



خاتمة:

توصيات للعالم الغربي

يهتم العالم الغربي اليوم بشأن المنظمات التي تمارس الإرهاب تحت اسم الإسلام وهو غير مخطئ في هذا الأمر. ومن الواضح أهمية محاكمة هذا الإرهاب الخارجي ومن يؤيده طبقا لمعايير القضاء الدولي. و يجب أن نلاحظ تلك المسألة الهامة وهي أن اتباع استراتيجيات طويلة المدى ستحقق حلولا ناجحة لمثل هذه المشاكل.

ومما سبق، نرى أنه لا توجد صلة بين الإسلام والإرهاب الذي يعتبر جريمة ضد الإنسانية كلها. وعرضنا أيضا التناقض التام والواضح في تعبير "الإرهاب الإسلامي"، ويمكن ان نورد الملاحظات المهمة التالية:

١. تتطلب الظروف الحالية أن تتصرف كل البلدان بالحذر والحيطة والحكمة . فسيناريو "صراع الحضارات" السيء الذي طرح، واحد من الأخطار التي تهدد العالم كله، ولن

يستفيد منه أحد. ويجب أن تتعلم شعوب العالم كيف يحب بعضها البعض ويتعايشوا جنبا إلى جنب في سلام ويتناقلون العلم فيما بينهم ويدرس كل منهم تاريخ الآخر وإنجازاته في الدين والأدب والفن والفلسفة والعلم والتكنولوجيا والتراث، وعندها سيغني كل منهم حياة الآخر إغناء حقيقيا.

٢. يجب التوسع في نشر الأنشطة التي تعرض الإسلام الحقيقي. وينبغي ألا تكون محاربة الجماعات المتطرفة في البلدان الإسلامية هي الحل. بل على العكس، فمثل هذه السياسة ستدفع الناس إلى رد الفعل المعاكس. والحل هو نشر الإسلام الحقيقي وإيجاد المسلم القدوة الذي يتصرف ويتعامل بقيم القرآن الكريم مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية، والحرية والأخلاق والعلم والروحانيات والجمال وكل ما يوفر السعادة والرخاء للإنسانية. ويجب أن يشرح المسلمون القيم الأخلاقية للقرآن وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام. وتقع على كاهل المسلمين مسئولية الحفاظ على الإسلام من عبث هؤلاء الذين يسيؤون فهمه وتطبيقه (مما يؤدي إلى مزيد من سوء الفهم للإسلام). ويتعين وضع الإسلام بين الأيدي الأمينة التي تعيش من خلال تطبيق القيم الإسلامية والسنة المحمدية.

٣. يكمن المصدر الحقيقي للإرهاب في الجهل والتعصب. وتعد التربية هي الحل الأمثل للقضاء على الإرهاب. فالتربية هي التي تسحب البساط من تحت أقدام هذا الإرهاب، فالإرهاب ضد السلام تماما، وهو لا يحترم الإسلام بل يؤذيه كما يؤذى المسلمين والإنسانية كلها.

٤. يجب ابتكار حلول تربوية طويلة الأمد لمكافحة الإرهاب الذي ينبع من الأيدلوجيات الشيوعية والفاشية والعنصرية. ففي العديد من دول العالم في وقتنا الحاضر تمثل المفاهيم الداروينية أساس النظام التعليمي. وكما وضحت سابقا، فإن الداروينية أيدلوجية خاطئة ترى أن الإنسان حيوان تطور فقط من خلال الصراع من أجل البقاء، وهو الشيء الذي كون القواعد الأساسية للإرهاب، وهي الفكر الذي تنبأ بأن البقاء فقط للأقوى. وتعتبر نتائج الحروب فضيعة فهي مثل مستنقع كبير لن تكف عن إغراق العالم بالكوارث.

والي جانب المقاييس القضائية التي ستقدم لمكافحة الإرهاب ، هناك حاجة ماسة لإطلاق حملة تربية نشطة في جميع أنحاء العالم . ويحب أن تكون أساسيات هذه التربية هي كشف زيف الدارونية والمادية وتوضيح وشرح القيم العليا التي

امرنا بها الله . ومن السهل العيش في سلام والاستقرار إذا ما طبقت القيم الأخلاقية للدين الحقيقي وبدون ردم هذا المستنفع لن يتخلص العالم من الكوارث .

أملنا الوحيد هو أن هذه القيم ستساعد العالم على التخلص من الإرهاب وكل أشكال البربرية والوحشية المتعصبة الأخرى. وكدولة مسيحية، تعرف الولايات المتحدة نفسها بـــأنها " أمة تحت حكم الله " "يجب أن تكون صديقة للمسلمين ويلفت الله انتباهنا إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم :

﴿ لَتجدَنَّ أَشَدَّ النَّاس عَدَاوَةً لِّلَّذينَ آمَنُواْ الْيَهُودَوَالَّذين أَشْرَكُواْ وَلَتجدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذينَ آمَنُواْ الَّذينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلكَ بِأَنَّ منْهُمْ قسِّيسينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة : ٨٢)

ونرى في التاريخ أن بعض الجاهلين (مثل الصليبيين) الذين فشلوا في فهم هذه الحقيقة قد سببوا نزاعات بين الأديان. ولمنع تكرار مثل هذا السيناريو الذي يظهر بانتشار شعارات مثل "صراع الحضارات " أو " الجهاد ضد الغرب " يجب أن يتحد ويتعاون المسلمون والمسيحيون.

وتشير التطورات التي وقعت إثر هذه الأحداث الخطيرة إلى أن بذرة هذا التعاون قد بدأت تنبت. فهذا العمل الإرهابي الخطير الذي أرق المسلمين والمسيحيين أدى إلى محاولة العديد من المسيحيين معرفة الدين الإسلامي وجعل المسلمين يبذلون مجهودا أكبر في توضيح مبادئ الإسلام الحقيقية كما وردت في القرآن .

والأخبار السارة هي أن كل هذه التطورات ستوضح للناس نقاء القيم الإسلامية وستشقي نفوسهم من أي تمييز او إجحاف ضد المسلمين. وسيكون القرن الواحد والعشرون بإذن الله هو الوقت الذي سيعرف فيه الناس أن نشر قيم الإسلام هو الطريق الوحيد لتحقيق السلام المنتظر على أرضنا.


إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ
(سورة المائدة / ٥٥)



انهيار الدّاروينية

لقد ظهرت النظرية الدّاروينية، يعني نظرية التطور بهدف رفض فكرة الخلق، بيد أنها لم تنجح في ذلك، واُعتبرت مجرد سفسطة خارجة عن نطاق العلم. وهذه النظرية تدّعي أن الكائنات الحية تولدت بطريق المصادفة من الكائنات غير الحية، وقد تم ردها ونقضها بعد أنّ أثبت العلم أنّ الكون والكائنات الحية تحتوي على أنظمة غاية في الإعجاز. وعلى هذا النحو أثبت العلم كذلك أن الله تعالى هو خالق الكون وخالق جميع الكائنات الحية.

وهذه النظرية لا تقوم سوى على مناقضة الحقائق العلمية والأكاذيب التي ترتدي لباس العلم وجملة من التزييفات، وقد تم القيام بحملة واسعة على نطاق العالم لكي تبقى هذه النّظرية قائمة على أقدامها، غير أن هذه الحملة لم تتمكن من إخفاء الحقيقة.

لقد تعالت الأصوات خلال الثلاثين سنة الماضية في دنيا العلم تبيّن بأن نظرية التطور تمثل أكبر خديعة في تاريخ العلم. وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت بشكل خاص اعتبارًا من عام ١٩٨٠ بأنّ الإدعاءات الدّاروينية عارية تماما من الصّحة، وقد تم التصريح بذلك من قبل العديد من كبار رجال العلم. ففي الولايات المتحدة بشكل خاص، صرح الكثير من علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية وعلم الحفريات وغيرها من العلوم الأخرى بأن الداروينية وصلت إلى طريق مسدود وأنّ أصل الكائنات الحية هو الخلق. واليوم تؤكد التطوّرات العلمية بأن الكون وجميع الكائنات الحية قد خُلقت من قبل الله تعالى.

لقد تناولنا مسألة انهيار نظرية التطور ودلائل الخلق في مواضع كثيرة من أعمالنا، وسوف نُواصل ذلك في أعمال أخرى. ولكن بالنظر إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع رأينا أنه من الفائدة إيراد ملخص لذلك في هذا الموضع أيضا.

الانهيار العلمي للنظرية الداروينية

بالرغم من أن هذه النظرية تعود في جذورها إلى التاريخ الإغريقي القديم، إلا أنها شهدت أوسع انتشار لها في القرن التاسع عشر . كان أهم تطور شهدته النظرية هو صدور كتاب تشارلز داروين "أصل الأنواع" الذي صدر عام ١٨٥٩. في هذا الكتاب ينكر داروين أن الأنواع المختلفة على الأرض قد خلقها الله. يقول داروين أن جميع الكائنات الحية لها جد مشترك وأنها قد تنوعت واختلفت بسبب اختلافات طارئة متدرجة أتت عليها عبر الأزمان.

وكما يقر داروين نفسه، فإن نظريته لا تقوم على أي حقيقة علمية ثابتة، بل إنها مجرد "إفتراض". علاوة على ذلك، يعترف داروين في فصل مطول من كتاب بعنوان "المصاعب التي تواجهها النظرية" أن النظرية تتهاوى أمام العديد من الأسئلة الحرجة.

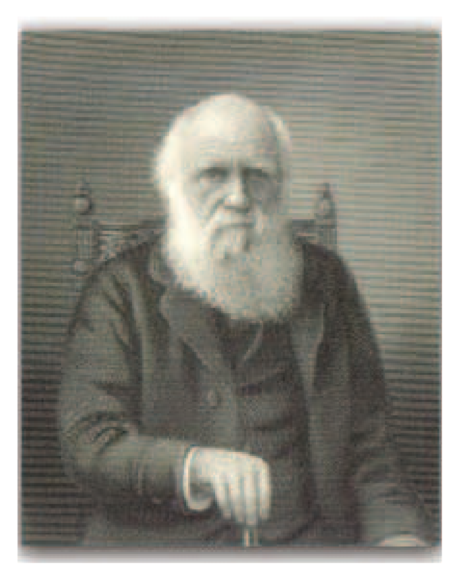
عقد داروين آماله على الاكتشافات العلمية التي كان يظن أنها ستزيل العقبات

التي تواجهها نظريته، إلا أن ما أثبتته هذه الاكتشافات جاء عكس ما تمناه الرجل.

وتظهرهزيمةداروين أمام العلم الحديث من خلال ثلاث نقاط رئيسية:

١-لم تتمكن هذه النظرية بأي وسيلة من الوسائل أن تفسر كيف نشأت الحياة على وجه الأرض.

٢-لا يوجد أي اكتشاف علمي يدل على قدرة "التقنيات التطورية" التي تفترضها النظرية على التطور في أي حال من الأحوال.



شارلز داروين

٣-مايثبته السجل الإحاثي هو عكس الادعاءات التي تقوم عليها نظرية التطور.

سنناقش في هذا الفصل هذه النقاط الثلاث الرئيسية:

العقبة الأولى التي لم تذلل: أصل الحياة

تقول نظرية التطور أن جميع الكائنات الحية قد تطورت عن خلية وحيدة ظهرت على سطح الأرض البدائية منذ ٣,٨ ملايين سنة. ولكن كيف يمكن لخلية وحيدة أن ينشأ عنها الملايين من الأنظمة والأنواع الحية؟ وإذا كان هذا التطور قد حدث فعلاً فلماذا لم تظهر علائمه في السجلات الإحاثية ، هذا سؤال لم تتمكن النظرية الإجابة عليه. إلا أن السؤال الأول الذي بقي يواجه هذه النظرية، التي لم تجد جوابا عليه حتى الآن، هو كيف نشأت "الخلية الأولى".

تفسر نظرية التطور، التي لا تعترف بالخلق ولا تقبل بوجود خالق، نشوء الخلية الأولى على أنها أتت عن طريق الصدفة التي تتضمنها قوانين الطبيعة. حسب هذه

النظرية تكون المادة الحية قد نشأت من مادة غير حية نتيجة للعديد من المصادفات، ومن المؤكد أن هذا الزعم لا يتوافق مع أبسط قواعد علم الأحياء.

الحياة تنشأ من الحياة

في هذا الكتاب، لم يتطرق داروين إلى أصل الحياة. فقد كان الفهم البدائي لحقيقة الحياة في عصره يعتمد على الإفتراض بأن الكائنات الحية ذات بنيات بسيطة جداً. لقد لاقت نظرية النشوء التلقائي التي انتشرت في القرون الوسطى، والتي تقول أن المواد غير الحية تجمعت من تلقاء نفسها لتشكل كائن حي، رواجاً واسعاً في ذلك الزمن. من الاعتقادات التي نتجت عن هذه النتيجة هي أن الحشرات تنشأ عن بقايا الطعام، وأن الجرذان تأتي من القمح. هنا يجدر بنا أن نتعرض لتجربة مضحكة قام بها البعض، حيث تم وضع بعض القمح على قطعة وسخة من القماش، وكان المنتظر أن يخرج جرذاً بعد برهة من الزمن.

ومن المنطلق ذاته كان يعتقد أن الديدان تخرج من اللحم؛ إلا أنه لم يلبث العلم أن أثبت أن الديدان لا تخرج من اللحم بشكل تلقائي، وإنما يحملها الذباب بشكل يرقانات لا ترى بالعين المجردة.

كان هذا الاعتقاد سائداً في الزمن الذي كتب فيه داروين كتاب "أصل الأنواع"، فقد كان يعتقد بأن البكتريا جاءت إلى الوجود من مادة غير حية وكان هذا الاعتقاد مقبوا علمياً.

لم يطل الوقت حتى أعلن باستور نتائج دراساته الطويلة وأبحاثه الكثيرة التي تدحض أساس نظرية داروين. قال باستور في محاضرته التي أعلن فيها عن انتصاراته في السوربون عام ١٨٦٤:

"لا يمكن أن تستفيق نظرية النشوء التلقائي من الضربة الصاعقة التي أصابتها بها هذه التجربة البسيطة." [٤٤]

قاوم المدافعون عن النظرية الداروينية اكتشافات باستور لوقت طويل. إلا أن

ماجاء به باستور بالإضافة إلى ما كشف عنه التقدم العلمي من البنية المعقدة لخلية المادة الحية، أبقيا فكرة وجود الحياة على سطح الأرض عن طريق الصدفة في مأزق لم تستطع الخروج منه.

المحاولات العاجزة في القرن العشرين

إن أول من تبنى موضوع منشأ الحياة في القرن العشرين كان التطوري المشهور ألكسندر أوبارين. تقدم هذا العالم بالعديد من الآراء العلمية في الثلاثينيات من ذلك القرن، حاول من خلالها إثبات إمكانية تطور خلية الكائن الحي عن طريق الصدفة. إلا أن دراساته لم تنته إلا بالفشل، مما حدا بأوبرين تقديم الاعتراف التالي:

" للأسف، بقيت مشكلة منشأ الخلية الأولى أكثر النقاط غموضاً في دراسة تطور الأنظمة الحية". [٤٥]

حمل التطوريون بعد أوبرين مسؤولية حل مشكلة منشأ الحياة. وكان أكثر هذه التجارب شهرة تلك التي قام بها الكيميائي الأمريكي ستانلي ميللر عام ١٩٥٣. قام هذا العالم بدمج عدد من الغازات التي يفترض أنها كانت موجودة في المناخ البدائي للأرض، وأضاف إليها مقدار من الطاقة. من خلال هذه التجربة تمكن ميللر من تركيب عدد من الحموض الأمينية (الجزيئات العضوية) التي تتواجد في تركيب البروتينات.

إلا أنه لم تمض عدة سنوات حتى ثبت بطلان هذه النظرية، التي كانت تعتبر خطوة رائدة في تقدم نظرية التطور، فالمناخ الذي استخدم في هذه التجربة كان مختلفاً جداً عن الظروف الأرضية الحقيقية. [٤٦]

وبعد فترة من الصمت اعترف ميللر أن المناخ الذي استخدمه في تجربته كان غير حقيقياً. [٤٧]

لقد باءت جميع محاولات التطوريين في إثبات نظريتهم في القرن العشرين بالفشل. يعترف العالم الجيولوجي بادا من معهد سكريبس في سانت ياغو بهذه

الحقيقة في مقالة نشرتها مجلة "الأرض" عام ١٩٩٨:

"ها نحن اليوم نغادر القرن العشرين دون أن نتمكن من حل المشكلة التي بدأنا القرن معها وهي : كيف بدأت الحياة على الأرض؟"[٤٨]

البنية المعقدة للحياة

السبب الرئيسي الذي أوقع نظرية التطور في مأزق "كيف بدأت الحياة" هو أن الكائنات الحية، حتى البسيطة منها، تنطوي على بنيات في غاية التعقيد. فالخلية الواحدة من الكائن الحي أكثر تعقيداً من أي منتج تقني صنعته يد البشر. فحتى يومنا هذا لا يمكن لأي مختبر كيميائي مهما بلغت درجة تطوره أن ينجح في تركيب خلية حية من خلال تجميع عدد من المواد العضوية مع بعضها.

إن الظروف المطلوب توفرها لتركيب خلية حية هي أكثر بكثير من أن تُعرض. فإمكانية تركيب أحد البروتينات التي تعتبر حجر الأساس في الخلية بشكل عشوائي هي ١ إلى $١٠^{٩٥٠}$ وهذا بالنسبة لبروتين مكون من ٥٠٠ حمض أميني؛ وفي الرياضيات يعتبر أي احتمال أصغر من ١٥٠ مستحيلاً!

إن جزيء الــ DNA الذي يتواجد في نواة الخلية والذي يخزن المعلومات الوراثية، هو في حد ذاته بنك معلومات معجز. فلو أن المعلومات المشفرة في جزيء DNA قد أفرغت كتابة فإنها ستشغل مكتبة عملاقة مكونة من ٩٠٠ مجلداً من الموسوعات كلا منها يتألف من ٥٠٠ صفحة.

وهنا تنشا مشكلة أخرى مثيرة: فجزيء الــ DNA لا يمكنه أن يتضاعف إلا بمساعدة بعض البروتينات المختصة (الأنزيمات)، وهذه الأنزيمات لا يمكن أن تتشكل بدورها إلا من خلال المعلومات المشفرة في جزيء الــ DNA. وبما أن كل منهما يعتمد على الآخر ، فمن الضروري أن يتواجدا في الوقت نفسه عند عملية التضاعف.وهذا يأتي بالنظرية القائلة أن الحياة قد نشأت من تلقاء نفسها إلى طريق مسدود. وقد اعترف البروفسور ليسلي أورجيل ، وهو تطوري مشهور من

جامعة سانت ياغو كاليفورنيا بهذه الحقيقة من خلال موضوع نشر في مجلة العلوم الأمريكية عام ١٩٩٤:

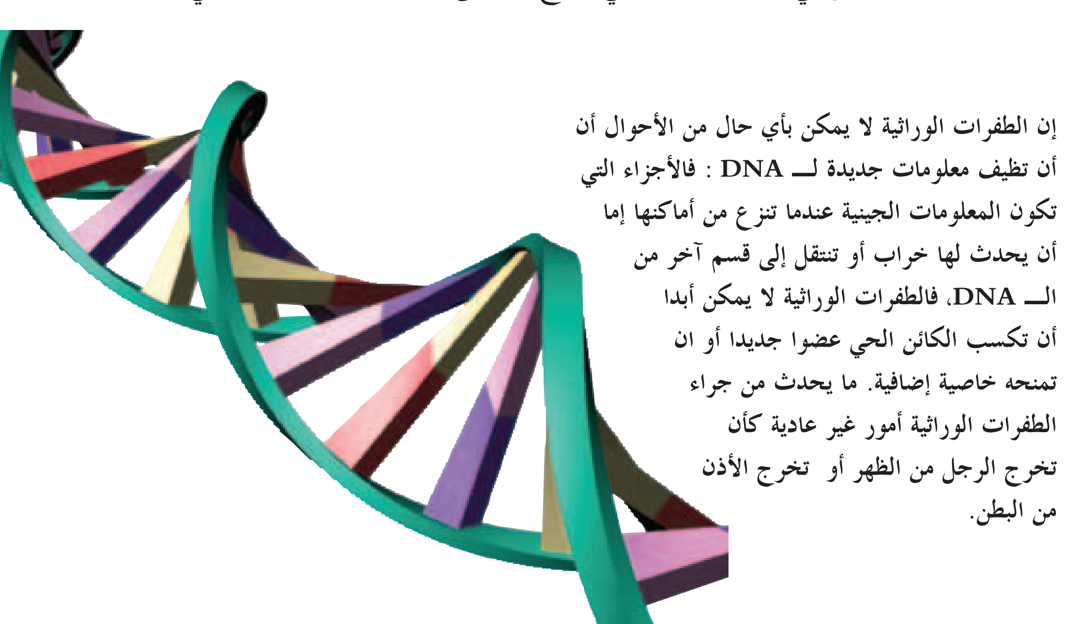
"من المستحيل أن تكون البروتينات والحموض الآمينية، وكلاهما جزيئات معقدة، قد نشأت من تلقاء نفسها في نفس الوقت وفي نفس المكان. أضف إلى عدم إمكانية تواجد أحدهما دون الآخر . وهكذا ومن النظرة الأولى يجد أحدنا أنه من المستحيل أن تكون الحياة قد نشأت من خلال عمليات كيميائية بحتة"[٤٩]

لا شك أنه إذا كان من المستحيل أن تنشأ الحياة من أسباب طبيعية، فلا بد أنها قد "خلقت" بيد خالق. هذه الحقيقة تلغي نظرية التطور ، والتي تهدف بالدرجة الرئيسية إلى إنكار الخلق، من أساسها.

الأفكار الخيالية لنظرية التطور

النقطة الثانية التي تدحض نظرية داروين هي أن كلا المفهومين اللذين وضعتهما النظرية كـــ "تقنيات تطورية" ثبت أنها في الحقيقة لا تملك أي قوة تطورية.

لقد اعتمد داروين في خدعة التطور التي خرج بها على فكرة "الإصطفاء الطبيعي".



إن الطفرات الوراثية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن أن تظيف معلومات جديدة لـــ DNA : فالأجزاء التي تكون المعلومات الجينية عندما تنزع من أماكنها إما أن يحدث لها خراب أو تنتقل إلى قسم آخر من الـــ DNA، فالطفرات الوراثية لا يمكن أبدا أن تكسب الكائن الحي عضوا جديدا أو ان تمنحه خاصية إضافية. ما يحدث من جراء الطفرات الوراثية أمور غير عادية كأن تخرج الرجل من الظهر أو تخرج الأذن من البطن.

وقد ضمن هذه الفكرة في كتابه: "أصل الأنواع ، عن طريق الاصطفاء الطبيعي..."

يقول قانون الاصطفاء الطبيعي أن الكائنات الحية التي تمتلك خصائص قوية فقط هي التي يمكن أن تبقى في معركة الحياة. على سبيل المثال، عندما تهاجم الحيوانات المتوحشة قطيعاً من الغزلان، فإن الغزلان الأقوى والتي يمكنها أن تركض بسرعة أكبر هي التي ستنجوا وتبقى على قيد الحياة. وهكذا يتشكل قطيع جديد من الأقوياء والسريعين فقط. ولكن، ولنفترض أننا سلمنا بهذا جدلاً، فهل يمكن لهؤلاء الأقوياء من قطيع الغزلان أن يتطوروا بأي شكل من الأشكال ليصبحوا خيولاً مثلاً؟ بالطبع لا.

لذلك نقول أن هذه الفكرة لا قوة تطورية لها. داروين نفسه كان قلقاً بشأن هذه الحقيقة التي وضعها في كتابه أصل الأنواع حيث قال:

"لا يمكن لقانون الاصطفاء الطبيعي أن يحقق شيئاً مالم تحدث تغييرات فردية إيجابية".[٥٠]

تأثير لامارك

ولكن كيف تحدث هذه "التغيرات الإيجابية"؟ حاول داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفهم البدائي للعلوم في ذلك الوقت. فحسب نظرية لامارك الذي عاش قبل داروين، فإن الكائنات الحية تورث صفاتها التي اكتسبتها خلال حياتها إلى الأجيال التالية ، وهذه الصفات تتراكم من جيل إلى آخر لتشكل أنواع جديدة من الكائنات الحية. فحسب لامارك، الزرافات هي كائنات تطورت عن الظباء عندما كانت تجاهد من أجل الوصول إلى الثمار التي تحملها الأشجار العالية، فطالت رقبتها من جيل إلى آخر حتى استقرت على هذا الطول.

وباقتفاء أثره، أورد داروين مثالاً مماثلاً في كتابه فقال أن الدبب غطست في الماء أثناء بحثها عن الطعام فتحولت إلى حيتان على مر الأجيال".[٥١]



ليس هناك أي مكسب حصل لنظرية النشوء والإرتقاء من فكرة الانتقاء أو الاختيار الطبيعي. ذلك لأن هذه الآلية لم تعمل في يوم من الأيام على تطوير المعلومات الجينية أو إغنائها لدى أي نوع من الأنواع. إنه لا يمكن لأي نوع أن يتغير إلى نوع آخر مختلف عنه؛ بمعنى أن التطور لا يمكن أن يغير نجم البحر فيصبح سمكة، أو يغير الأسماك فتصبح ضفادع، أو يغير الضفادع فتصبح تماسيح أو يغير التماسيح فتصبح طيورا.

إلا أنه ما لبثت أن ظهرت قوانين الوراثة على يد العالم ماندل في القرن العشرين، مما أحبط أسطورة امتداد الصفات عبر الأجيال. وهكذا سقط الاصطفاء الطبيعي كدعامة من دعامات نظرية التطور.

الداروينية الجديدة والطفرات

ومن أجل الوصول إلى حل، قام الداروينيون بتطوير "نظرية تركيبية جديدة" أو ما يدعى بـــ "الداروينية الجديدة" في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. أضافت الداروينية الجديدة نظرية "الطفرات"وهي تشوهات جينية تطرأ على الكائن الحي وتحدث بفعل تأثيرات خارجية مثل التعرض إلى الإشعاعات وأخطاء في تضاعف الـــ DNA، بالإضافة إلى الطفرات الطبيعية.

و النموذج الذي يقف مدافعاً اليوم عن نظرية التطور هو الداروينية الجديدة.تقول هذه النظرية الجديدة ـــأن الملايين من الأحياء المتواجدة على سطح الأرض قد جاءت نتيجة لطفرات طرأت على الأعضاء المعقدة لهذه الكائنات مثل الآذان والعيون والرئات والأجنحة، أي إضطرابات وراثية. إلا أن الحقيقة العلمية تأتي في عكس الاتجاه المطلوب. فالطفرات لم تكن في يوم من الأيام إيجابية تؤدي إلى تقوية وتعزيز





إنّ علماء الأحياء الذين هم من أنصار نظرية التطور قد أخذوا يبحثون عن نموذج مفيد للطفرات الأحيائية حيث عرَّضوا الذباب للطفرات الأحيائية منذ بداية القرن، إلا أنه في نهاية تلك المساعي والمجهودات لم يتم الحصول إلا على ذباب مريض، وعليل، وغير تام. ويوجد في الأعلى وعلى اليسار صورة لذبابة فاكهة طبيعية، وفي الأسفل وعلى اليمين توجد ذبابة فاكهة أخرى تعرضت للطفرات الأحيائية وخرجت سيقانها من رأسها، أما في أعلى اليمين فتوجد ذبابة فاكهة قد خرجت أجنحتها بشكل مشوه وذلك بالطبع نتيجة لما تعرضت له من طفرات أحيائية.

القدرة الحيوية الكائن الحي، وإنما إلى إنهاكها وإضعافها..

والسبب وراء هذا ببساطة هو أن جزيء DNA يحمل بنية معقدة جداً وأي تغيير عشوائي فيها سيؤدي ضرراً كبيراً. يشرح عالم الجينات رانغاناتان الموضوع كالتالي:

"أولاً، الطفرات الجينية نادرة الحدوث. ثانياً الطفرات في معظمها ضارة ومهلكة في بعض الأحيان لأنها تغيرات عشوائية ، وأي تغير غير منظم، علاوة على المنظم ، في أي كائن حي راقييتنحدر به نحو الأسوء ولا ترتقي به إلى الأفضل. فالهزة الأرضية التي قد تصيب أحد الأبنية على سبيل المثال، ستتسبب في تغيير في الإطار العام لها، وهذا بالطبع ما لن يكون تحسيناً في البناء."[٥٢]

لهذا ليس غريباً غياب أي دليل على وجود طفرة كانت السبب في تغيير الشفرة الوراثية نحو الأفضل. على العكس فجميع الطفرات كانت ناكسة . أصبح واضحاً إذاً أن الطفرة التي اعتبرت من تقنيات التطور لا تجلب على الكائن الحي إلا المزيد من الضعف وتجعله عاجزاً. (من التأثرات الشائعة للطفرة في العصر الحديث مرض السرطان). وطبيعي أن لا تكون تقنية مدمرة من تقنيات "التطور"، كما لا يمكن لـــ

"الاصطفاء الطبيعي " أن ينجز شيئاً بنفسه. وهذا يعني أنه لا يوجد تقنيات تطور في الطبيعة. وبانتفاء وجود هذه التقنيات تنتفي عملية التطور.

السجلات الإحاثية: لا دليل على وجود أشكال مرحلية

في الحقيقة لا يوجد أي دليل في سجل المستحاثات على أكثر الادعاءات وضوحاً في سيناريو نظرية التطور.

حسب نظرية التطور، فإن كل كائن حي قد نشأ عن كائن قبله، أي أن الكائنات السابقة قد تحولت إلى كائنات أخرى، وكل الأنواع نشأت بهذه الطريقة. وحسب النظرية، فإن هذه التحولات استغرقت ملايين السنين.

وإذا كان هذا الافتراض حقيقي ، فمن الضروري وجود عدد كبير من الأنواع المرحلية التي عاشت في فترة التحول الطويلة. على سبيل المثال لابد من وجود كائن نصفه سمكة ونصفه سلحفاة يحمل صفات السلحفاة بالإضافة إلى صفات الأسماك التي يحملها أصلاً. أو كائنات نصفها طير والنصف الآخر زواحف، أي تحمل بعض صفات الطيور بالإضافة إلى صفات الزواحف التي تحملها أصلاً. وبما أنها في الطور المرحلي، فهي كائنات عاجزة غير مؤهلة، ومعاقة؛ ويطلق التطوريون على هذه الأشكال الخيالية إسم "الأشكال التحولية"

لو كان هناك حيوانات كتلك حقاً، فيجب أن يكون هناك الملايين بل البلايين منها وبشكل متنوع. والأهم من ذلك يجب أن تحمل سجلات المستحاثات بقايا هذه الأحياء الغريبة. يقول داروين في كتابه "أصل الأنواع":

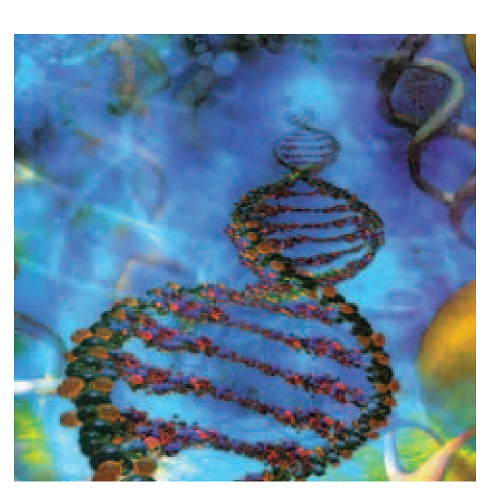
"إذا كانت نظريتي صحيحة، فلابد من وجود عدداً كبيراً من الأنواع المختلفة التي تصنف ضمن فئة واحدة، وهذا الوجود ستثبته السجلات الإحاثية". [٥٣]

آمال داروين تتبدد

بالرغم من جميع محاولات التطوريين الجادة في إيجاد مستحاثات تدعم تصوراتهم في وجود مخلوقات تحولية في منتصف القرن العشرين في جميع أنحاء العالم، إلا أنهم لم يجدوا أ ياً منها . لقد أثبتت جميع المستحاث التي اكتشفت أثناء الحفريات الجيولوجية عكس ما قالت به النظرية الداروينية تماماً: لقد نشأت الحياة فجأة وبتشكل تام لا وجود لأي شكل تحولي.

أقر أحد علماء التطور، العالم الإنجليزي ديريك آغر Derek Ager بهذه الحقيقة عندما قال:

النقطة هي أننا عندما قمنا بتقصي السجل الإحاثي بالتفصيل سواء على مستوى الأنواع أو الترتيب الزمني المرة تلو المرة، لم نجد تطور تدريجي أو مرحلة انتقالية، وإنما ظهور مفاجئ لمجموعة من الكائنات على حساب أخرى.[٥٤]



هذا يعني أن السجل الإحاثي يبرهن أن جميع الكائنات الحية قد ظهرت على الأرض بشكل مفاجئ بأشكالها التامة، ودون أي طور تحولي، وهذا عكس الإدعاء الدارويني تماماً وإثبات قوي على حقيقة الخلق. فالتفسير الوحيد لنشوء الكائنات الحية بشكل مفاجئ على سطح الأرض بشكلها الكامل ودون تطور عن أجداد سابقين، إنما يعني أن هذه الأنواع قد خلقت خلقاً. ويقر هذه الحقيقة عالم الأحياء التطوري دوغلائس فيوتويما:

"الخلق والتطور، وبينهما التفسيرات المحتملة عن أصل الكائنات الحية. فإما أن تكون الأنواع قد ظهرت على سطح الأرض بتكوينها الكامل، أو لا تكون.

إذا لم يكن الأمر كذلك فهذا يعني أنها قد تطورت عن أنواع وجدت مسبقاً من خلال بعض عمليات التحول. أما إذا كانت قد ظهرت بشكلها الكامل ، فلابد أنها قد خلقت خلقاً.[٥٥]

والمستحاثات تثبت أن الكائنات الحية قد نشأت بشكلها المكتمل على سطح الأرض، وهذا يعني أن "أصل الأنواع" ليس كما يدعي داروين، إنه خلق وليس تطور.

قصة تطور الإنسان

الموضوع الذي يحاول مؤيدوا نظرية التطور الكلام به دائماً هو موضوع أصل الإنسان. يدعي الداروينيون أن الإنسان الحالي قد تطور عن نوع من أشباه القردة. وخلال هذه العملية التطورية المزعومة، التي يفترض أنها استغرقت من ٤-٥ ملايين عاماً، ظهرت "أشكال تحولية" تفصل بين الإنسان الحديث وأجداده، كما يزعمون. وحسب هذه الصورة الخيالية البحتة، صنفت هذه الأشكال في أربعة فئات:

١-أوسترالوبيثيكوس

٢-هومو هابيليس.

٣-هومو أريكتوس

٤-هومو سابينس

يطلق التطوريون على الجد الأول للإنسان " أوسترالوبيثيكوس" ويعني "قرد جنوب إفريقيا".والحقيقة هو أن هذا المخلوق ليس إلا نوعا من القرود القديمة المنقرضة. أثبتت الأبحاث الواسعة التي أجراها عالما التشريح ، اللورد سولي زوكرمان والبروفسور تشارلز أوكسنارد، من إنكلترا والولايات المتحدة، على مستحاثات أوسترالوبيثيكوس أن هذه المستحاثات تعود إلى أنواع عادية من القردة التي انقرضت والتي لا تحمل أي شبه مع الإنسان.[٥٦]

والفئة الثانية التي يصنفها التطوريون هي "هومو" وتعني "الإنسان" وحسب

نظرية التطور، فإن سلالة الهومو أكثر تطوراً من سلالة أوسترالوبيثيكوس. وهنا اخترع التطوريون خطة مثيرة بتركيبهم لهدة مستحاثات من هذه المخلوقات ووضعها بترتيب معين. إلا أن تلك الخطة خيالية لأنه لم يثبت وجود أي علاقة تطورية بين هذه الفئات المختلفة. يقول أحد أهم المعلقين على نظرية التطور إيرنست ماير في كتابه "من المناظرات الطويلة:

" تعتبر الأحجية التاريخية التي تتكلم عن أصل الحياة أو أصل الهومو سابينس أحجية صعبة حتى أنها تتعارض مع الاكتشافات الأخيرة."[٥٧]

ومن خلال السلسلة التي وضعها التطوريون فإن الفئات الأربع: أوسترالوبيثيكوس، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس ناشئة عن بعضها البعض. إلا أن الاكتشافات الأخيرة التي ظهرت على يد علماء المستحاثات البشرية قد أثبتت أن هذه الفئات الأربعأوسترالوبيثيكوس ، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس قد عاشت في بقاع مختلفة من العالم وفي زمن واحد.[٥٨]

علاوة على هذا، فإن الأجزاء البشرية التي صنفت في فئة "هومو أريكتوس" لم تنقرض حتى وقت قريب جداً، أما النياندرتاليين والهوموسابينيس فقد تعايشوا في زمن واحد وفي منطقة واحدة.[٥٩]

هذا الاكتشاف يدحض الادعاء بأن أحد منهم يمكن أن يكون جداً للآخر. يفسر عالم الأحياء القديمة ستيفن جاي غولد Stephen Jay Gould من جامعة هارفارد النهاية المسدودة التي وصلت إليها نظرية التطور، بالرغم من أنه عالم تطوري:

ماذا سيكون مصير فكرتنا إذا كان هناك تزامن معيشي لثلاث من فئات الهومو (الإفريقي والأوسترالوبيثيكوس القوي والهومو هابيليس) وثبت أن أحداً منهم لم ينشأ عن الآخر؟ أضف إلى أن أحدا من هؤلاء لم يثبت عليه أي تحول تطوري خلال فترة حياته على سطح الأرض.[٦٠]

نقول باختصار، أن سيناريو التطور البشري الذي ينص على وجود مخلوق نصفه إنسان ونصفه قرد والذي قام على استخدام العديد من الصور الخيالية التي ظهرت في

الكتب الدعائية لنظرية التطور، ليست إلا قصة لا أساس لها من الصحة العلمية.

وبالرغم من كون العالم سولي زوكرمان، الأكثر شهرة في المملكة المتحدة، عالماً تطورياً، إلا أنه اعترف في نهاية أبحاثه، التي استغرقت عدة سنوات والتي تناولت بشكل خاص مستحاثات أوسترالوبيثيكوس لمدة ١٥ عاماً، أنه لا يوجد شجرة بشرية تتفرع عن مخلوقات شبيهة بالقرود.

صنف زوكرمان العلوم ضمن طيف أسماه "طيف العلوم" يتدرج من العلوم التي يعتبرها علمية لينتهي في العلوم التي يعتبرها غير علمية. وحسب طيف زوكرمان، فإن أكثر العلوم "علمية" – أي التي تقوم على بيانات ومعلومات ملموسة– هي الفيزياء والكيمياء، تليهما العلوم البيولوجية وفي الدرجة الأخيرة العلوم الاجتماعية. وفي نهاية الطيف تأتي العلوم "غير العلمية" والتي يحتل مكانها "الإدراك الحسي المفرط" –وهي مفاهيم الحاسة السادسة والتيليباثي (التخاطر عن بعد) – ويليها "التطور البشري".

ويشرح لنا زوكر عمله هذا:

نحن هنا إذاً نتحول من الحقيقة المسجلة موضوعياً إلى تلك المجالات التي يشغلها علم الأحياء الافتراضي، مثل الإدراك الحسي المفرط، أو التفسير التاريخي للمستحاثات الإنسانية، والتي يبدو فيها كل شيء جائز بالنسبة للتطوري، حيث يكون التطوري مستعداً لتصديق العديد من الأمور المتناقضة في وقت واحد.[61]



لقد انحدرت قصة التطور البشري لتصل إلى مستوى التفسيرات المتحيزة لبعض المستحاثات التي استخرجها بعض الأشخاص

الذين تعلقوا بهذه النظرية بشكل أعمى.

المعادلة الداروينية

إلى جانب كل ما تناولناه إلى الآن من أدلة تقنية ، نود أن نوجز ـــ إن شئتم ـــ وبمثال واضح بحيث يمكن حتى للأطفال أن يفهموه ، كيف أن التطوريين أولو عقيدة خرفاء فاسدة .

تزعم نظرية التطور أن الحياة تشكلت محض صدفة؛ وعليه وطبقاً لهذا الزعم فإن الذرات الجامدة وغير الواعية اجتمعت وشكلت أولاً خلية، ثم جاءت الذرات نفسها بطريقة أو بأخرى بالكائنات الحية والبشر. ولنفكر الآن: إننا حينما نجمع عناصر مثل الكربون والفسفور والأزوت والبوتاسيوم وهي المفردات الأساسية في بنية الكيان الحي، فإنه تتشكل كومة. ومهما مرت كومة الذرات هذه بأي من العمليات، فإنها لا يمكن أن تشكل كائنا حيا واحدًا. ولنجر تجربة في هذا الصدد إذا ما شئتم ، ولنتناول بالبحث والاستقصاء، باسم التطوريين وتحت عنوان "المعادلة الداروينية"، الزعم الذي ينافحون عنه في الأصل، إلا أنهم لا يستطيعون أن يجهروا به:

فليضع التطوريون كميات وفيرة من عناصر مثل الفسفور والأزوت والكربون والأوكسجين والحديد والماغنسيوم وهي العناصر التي تتشكل منها بنية الكائن الحي، داخل أعداد هائلة من البراميل العظيمة. وليضيفوا حتى إلى هذه البراميل ما يرون أنه من الضروري وجوده داخل هذا المزيج من مواد لا توجد حتى في الظروف الطبيعية. وليفعموا هذا المزيج بقدر ما يشاؤون من الأحماض الأمينية، والبروتين (احتمال تشكل الوحدة الواحدة منه تصادفياً بنسبة ١٠ قوة ٩٥٠). وليمدّوا هذا المزيج بالحرارة والرطوبة بالنسبة التي يرونها مناسبة، وليخفقوه ما شاؤوا من الأجهزة المتطورة، وليقيّضوا على رأس هذه البراميل صفوة علماء العالم، ولينتظر هؤلاء الخبراء في مكانهم هذا وبشكل مستمر مليارات، بل تريليونات السنين بالتناوب من الأب إلى الابن، ومن جيل إلى جيل، ولتكن لهم مطلق الحرية في أن يستخدموا كافة ما

يعتقدون في ضرورة وجوده من الظروف من أجل تشكل الكائن الحي. إنّهم مهما فعلوا، ليس بمقدورهم بالطبع أن يُخرجوا كائنا حيّا من تلك البراميل. ولا يتأتى لهم أن يأتوا بواحدة من الزّرافات أو الأسود أو النحل أو عصافير الكناريا أو البلابل أو الببغاوات أو الخيل أو حيتان يونس أو الورود أو زهور الأوركيد أو الزنابق أو زهور القرنفل أو الموز أو البرتقال أو التمر أو الطماطم أو الشمام أو البطيخ أو التين أو الزيتون أو العنب أو الخوخ أو الطواويس أو طيور الدُّراج أو الفراشات مختلفة الألوان وملايين من الأنواع الحية من مثل هؤلاء. بل ليس بوسعهم أن يأتوا ولو بخلية من هذه الكائنات الحية التي أحصينا عدداً منها، لا بواحدة منها كاملة الخلق.

جملة ما نبغي قوله هو أن الذرات غير الواعية ليس بوسعها أن تجتمع فتشكل خلية حية، ولا تستطيع أن تتخذ قرارًا جديدًا من بعد فتقسم الخلية نصفين، ثم تتخذ قرارات أخرى تباعًا فتأتي بكيان العلماء الذين اخترعوا المجهر الإليكتروني، ممن يراقبون بنية الخلية ذاتها فيما بعد تحت المجهر. إنّ الخلية تدب فيها الحياة فقط بالخلق المعجز لله عز وجل. أما نظرية التطور التي تزعم عكس هذا، فهي سفسطة تتنافى تماما مع العقل والمنطق. وإن إعمال الفكر ولو قليلا في المزاعم التي طرحها التطوريون، ليظهر بجلاء هذه الحقيقة مثلما في النموذج الوارد أعلاه.

التقنية الموجودة في العين والأذن

أما الموضوع الآخر الذي لم تستطع نظرية التطور أن تأتي له بتفسير جازم، فهو جودة الإدراك الفائقة الموجودة في العين والأذن.

وقبل الولوج إلى الموضوع المتعلق بالعين، نود أن نجيب بإيجاز عن سؤال هو: كيف تبصر العين ؟

إن الأشعة المنبعثة من جسم ما، تسقط بشكل عكسي على شبكية العين، وتقوم الخلايا الموجودة هنالك بتحويل هذه الأشعة إلى إشارات كهربية، تصل إلى نقطة تسمى مركز الإبصار موجودة بالجزء الخلفي للمخ. وهذه الإشارات الكهربية، بعد

مجموعة من العمليات يتم التقاطها كصورة في هذا المركز الكائن في المخ. وبعد هذه المعلومة فلنفكر:

إن المخ محجوب عن الضوء، بمعنى أن داخل المخ ظلامًا دامسًا، ولا يتأتى للضوء أن ينفذ إلى حيث يوجد المخ. والموضع الذي يسمى مركز الإبصار موضع حالك الظلمة ليس الضوء ببالغه أصلا، ولعله مظلم بدرجة لم نصادفها قط. إلا أنكم في هذه الظلمة الحالكة تشاهدون عالما مضيئا متوهجا.

فضلا عن كونه منظرًا على درجة من النقاء والجودة تعجز حتى تقنية القرن الحادي والعشرين ــ رغم كل الإمكانيات ــ أن تأتي بمثلها. انظروا مثلا إلى الكتاب الذي بين أيديكم الآن، وانظروا إلى أيديكم التي تمسك الكتاب، ثم ارفعوا رأسكم وانظروا حولكم. أرأيتم منظرًا بهذا النقاء والجودة في أي موضع آخر؟ إن شاشة أكثر أجهزة التلفاز تطورًا والتي تنتجها شركة أجهزة التلفاز الأولى على مستوى العالم، لا يمكن أن تمنحكم صورة بهذا القدر من النقاء. ومنذ مائة عام وآلاف المهندسين يسعون للوصول إلى هذا النقاء، ومن ثم تُشيَّد المصانع والمؤسسات العملاقة، وتُجرى الأبحاث، ويتم تطوير الخطط والتصميمات. ولتنظروا ثانية إلى شاشة التلفاز، وفي اللحظة ذاتها إلى الكتاب الذي بين أيديكم، فسوف ترون أن هناك فرقاً شاسعاً في النقاء والجودة. فضلا أن شاشة التلفاز تبدي لكم صورة ثنائية الأبعاد، في حين أنكم تتابعون مناظر ثلاثية الأبعاد ذات عمق.

ومنذ سنوات طوال يسعى عشرات الآلاف من المهندسين لتصنيع شاشات جهاز تلفاز تعطي صورة ثلاثية الأبعاد، والوصول إلى جودة رؤية العين. نعم لقد أمكنهم تصميم نظام تلفاز ثلاثي الأبعاد، غير أنه ليس في الإمكان رؤيته ثلاثي الأبعاد دون ارتداء النظارة. ومع أن هذه الأبعاد الثلاثة اصطناعية. فالجهة الخلفية تظل عكرة، أما الجهة الأمامية فتبدو وكأنها صورة من ورق. ولا يتشكل أبدا منظر في جودة ونقاء المنظر الذي تراه العين. ويحدث بالطبع أن تضيع الصورة في الكاميرا والتلفاز.

وها هم التطوريون يزعمون أن آلية الإبصار في العين والتي تظهر هذا المنظر

الذي يتسم بالجودة والنقاء، إنما تشكلت بمحض المصادفة . والآن إذا ما قال أحد لكم إن التلفاز الموجود في حجرتكم، إنما قد تشكل نتيجة مصادفات، وأن الذرات تجمعت وجاءت بالجهاز الذي يشكل هذه الصورة، ماذا تعتقدون فيه؟! كيف لذرات غير واعية أن تصنع ما لم يتأت لآلاف الأشخاص مجتمعين أن يصنعوه ؟!

إنّ الآلة التي تشكل منظرًا هو أكثر بدائية مما تراه العين، لو أنها لا تتشكل مصادفة، فإنه من الواضح للغاية أن العين والمنظر الذي تراه بدورهما لن يتشكلا محض مصادفة، والحال كذلك بالنسبة للأذن. فالأذن الخارجية تجمع الأصوات المحيطة بواسطة صوان الأذن، وتقوم بتوصيلها إلى الأذن الوسطى، لتقوم هي الأخرى بتقوية الذبذبات الصوتية ونقلها إلى الأذن الداخلية، لتقوم بدورها بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربية، وإرسالها إلى المخ. وعملية السمع أيضا كما هو الشأن في عملية الإبصار تتم في مركز السمع الموجود في المخ.

والوضع الذي في العين يسري كذلك على الأذن. بمعنى أن المخ محجوب كذلك عن الصوت مثلما هو محجوب عن الضوء، فالصوت لا ينفذ، وعليه فإنه مهما بلغت شدة الضجيج خارج المخ، فإن داخله ساكن تمام السكون. ورغم هذا فإن أنقى الأصوات تُلتقط في المخ. ولو أنكم تسمعون سيمفونيات أوركسترا في مخكم الذي لا ينفِذ إليه الصوت، فإنكم تشعرون بكل صخب أحد الأوساط المزدحمة. وإذا ما قيس مستوى الصوت الذي بداخل المخ باستخدام جهاز حساس في تلك اللحظة، فسيتضح أنه يُطبق عليه السكون التام.

وعلى نحو ما استخدمت التقنية أملا في الحصول على صورة نقية، فإن المساعي نفسها تتواصل منذ عشرات السنين بالنسبة كذلك للصوت. وتُعد أجهزة تسجيل الصوت وأشرطة الكاسيت وكثير من الأجهزة الإليكترونية، والأنظمة الموسيقية التي تلتقط الصوت، بعض ثمار هذه المساعي. ولكن على الرغم من كل التقنيات، وآلاف المهندسين والخبراء العاملين بحقلها، لم يتأت الوصول إلى صوت بنقاء وجودة الصوت الذي تلتقطه الأذن. وتأملوا أجود أشرطة الكاسيت التي تنتجها كبرى شركات الأنظمة

الموسيقية، فحينما يسجل الصوت، حتما يضيع شطر منه، أو يحدث تشوش بالطبع ولو قليلا، أو أنه حينما تقومون بتشغيل شريط الكاسيت فإنكم لا بد أن تسمعوا له صريرًا قبل أن تبدأ الموسيقى. في حين أن الأصوات التي من نتاج التقنية الموجودة بالجسم الإنساني تتسم بأقصى درجات النقاء، ولا تشوبها شائبة. ولا تلتقط أذن إنسان أبدًا الصوت بشكل به صرير أو تشويش. وأيا ما كانت طبيعة الصوت فإنها تلتقطه بشكل كامل ونقي. وهذا الوضع لا يزال على ذات الكيفية منذ أن خُلق الإنسان وإلى يومنا هذا. وإلى الآن ليس ثمة جهاز بصري أو صوتي من صنع بني الإنسان يلتقط الصورة والصوت بشكل حساس وناجح مثل العين والأذن.

وفيما عدا هذا كله، فإنه ثمة حقيقة عظيمة للغاية في عملية الإبصار والسمع.

لمن تعود حاسة الإبصار والسمع داخل المخ ؟

من ذا الذي بداخل المخ يشاهد عالما مضيئا ملونا، ويسمع السيمفونيات وزقزقة العصافير، ويتنسم عبير الورود؟ إن التنبيهات الآتية من عيني الإنسان وأذنيه وأنفه تمضي إلى المخ في صورة إشارة كهربية. وإنكم لتطالعون تفصيلات كثيرة في كتب علم الأحياء والطبيعة والكيمياء الحيوية، بيد أنكم لا يمكن أن تصادفوا في أي موضع قط أهم حقيقة ينطوي عليها هذا الموضوع ألا وهي: من ذا الذي بالمخ يتلقى هذه الأشارات الكهربية ويدركها على أنها صورة وصوت ورائحة وإحساس. إن ثمة حاسة توجد بداخل المخ تلتقط هذا كله دون حاجة إلى عين أو أذن أو أنف، لمن تعود هذه الحاسة. بالطبع لا تعود على ما يشكل المخ من أعصاب وطبقات دهنية وخلايا عصبية. وهكذا ولهذا السبب ليس بمقدور الماديين الداروينيين ممن يظنون أن كل شيء ليس سوى مادة، أن يجيبوا على هذه التساؤلات، لأن هذه الحاسة إنما هي الروح التي خلقها المولى عز وجل. فهي لا تحتاج إلى عين حتى ترى الصورة، ولا أذن حتى تسمع الصوت. وعلاوة على هذا كله، فهي ليست بحاجة إلى مخ كيما تفكر. إن كل امرئ يطالع هذه الحقيقة العلمية الجلية، عليه أن يفكر في الله عز وجل

الذي جمع بمكان حالك الظلمة داخل المخ يقدَّر بعدة سنتيمترات مكعّبة، الكائنات كافة بصورة ثلاثية الأبعاد ذات ألوان وظلال وضياء، ويخشاه ويلوذ به.

عقيدة مادية

إن ما تناولناه إلى الآن بالبحث والتدقيق ليظهر أن نظرية التطور ما هي إلا زعم يتعارض بوضوح مع الاكتشافات العلمية، ويجافي زعم النظرية ــــ فيما يتعلق بأصل الحياة ــــ المنطق العلمي. فليس لأية آلية تطور قط طرحتها النظرية أي تأثير تطوري. وتكشف الحفريات أن الكائنات الحية لم تمر بمراحل بينية تلك التي تستوجبها النظرية. وفي هذه الحالة يتعين تنحية نظرية التطور جانبا باعتبارها فكرة مجافية للعلم. لا سيما وأن كثيرًا من الأفكار التي ظهرت على مدار التاريخ، مثل فكرة أن الأرض هي مركز الكون، قد حُذفت من أجندة العلم. في حين أن نظرية التطور يُتشبث بها وبإصرار في هذه الأجندة، حتى إنه من الناس من يسعى لإظهار أي انتقاد موجه إلى النظرية وكأنه هجوم على العلم ! لِمَ هذا إذن؟!

إن السبب في هذا الوضع إنما هو تكون عقيدة جازمة لنظرية التطور لا يمكن النكوص عنها بالنسبة إلى بعض الأوساط. وتخلص هذه الأوساط إخلاصاً أعمى للفلسفة المادية، وتتبنى الداروينية كذلك لأنها التفسير المادي الوحيد للطبيعة الذي يمكن الإتيان به.

وأحيانا يعترفون صراحة بهذا، ويعترف ريتشارد لونتين (Richard Lewontin) ــــ عالم الوراثة الشهير بجامعة هارفرد وفي الوقت ذاته تطوري بارز، ــــ بأنه "مادي في المقام الأول، ثم عالم في المقام الذي يليه"، إذ يقول:

"إن لنا إيمانا بالمادية، وهو إيمان استباقي (اعتُنق سلفا، وافترضت صحته). والشيء الذي يدفعنا إلى الإتيان بتفسير مادي للعالم، ليس هو أصول العلم وقواعده، بل على العكس من ذلك فإننا ــــ بسبب من إخلاصنا سلفا للمادية ــــ نختلق أصول ومفاهيم بحثية تأتي بتفسير مادي للعالم. ونظرا إلى كون المادية صحيحة صحة

مطلقة، فإننا لا يمكن أن نسمح بدخول تفسير إلهي إلى الساحة". ٦٢

وتُعد هذه الكلمات اعترافات صريحة بأن الداروينية مولود يحيا في سبيل الإخلاص للفلسفة المادية. وهذا المولود يفترض أنه ما من وجود قط سوى المادة. ولهذا السبب يعتقدون أن المادة الجامدة عديمة الوعي إنما خلقت الحياة. ويذهبون إلى أن ملايين الأنواع الحية المختلفة مثل الطيور والأسماك والزرافات والنمور والحشرات والأشجار والأزهار وحيتان البال والبشر إنما تشكلت من داخل المادة الجامدة وبالتفاعلات الحادثة داخل المادة ذاتها؛ أي بالمطر الساقط، والبرق الخاطف. أما في حقيقة الأمر فإن هذا يتنافى مع العقل والمنطق على السواء. بيد أن الداروَنيين يستمرئون المنافحة عن هذا الرأي بُغية "عدم دخول تفسير إلهي إلى الساحة" على حد تعبيرهم.

أما من لا ينظرون إلى أصل الكائنات الحية وفي أذهانهم حكم مادي مسبق، فسوف يدركون هذه الحقيقة الجلية. والكائنات الحية كافة إنما هي من صنع خالق ذي قوة وعلم وعقل معجز. إنه الله الذي خلق الكون كله من العدم، ونظّمه بشكل لا تشوبه شائبة أو قصور، وخلق الكائنات الحية كافة وصوّرها.

إن نظرية التطور هي أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم

يتعين هنا أن نوضح أن أيما إنسان يُعمِل عقله ومنطقه دون أحكام مسبقة ودون الوقوع تحت تأثير أي أيديولوجية، سيدرك بسهولة ويسر أن نظرية التطور التي تذكرنا بخرافات المجتمعات التي عاشت بمنأى عن العلم والحضارة، ليست سوى زعم يستحيل تصديقه.

وعلى النحو المتقدم تبيانه، فإن من يؤمنون بنظرية التطور يعتقدون أن الأساتذة الذين يفكرون ويعقلون ويخترعون، والطلاب الجامعيين والعلماء مثل إينستين هوبل (Einstein Hubble)، والفنانين مثل فرانك سيناترا (Frank Sinatra) وتشارلتون هيستون

(Charlton Heston)، يضاف إليهم كائنات مثل الغزلان وأشجار الليمون وزهور القرنفل، سوف يخرجون مع مرور الزمان من مزيج من كثير من الذرات والجزئيات والمواد غير الحية التي تملأ برميلا عظيما. لا سيما وأن من يؤمنون بهذا الخَرَف هم علماء وأساتذة وأناس على قدر من الثقافة والتعليم. ولهذا السبب فإن استخدام تعبير "أشد السحر تأثيرًا في تاريخ العالم" بالنسبة إلى نظرية التطور سيكون استخدامًا في محله. إذ إنه ليس في تاريخ العالم اعتقاد أو زعم آخر سلب عقول البشر بمثل هذه الدرجة وحرمهم من فرصة التفكير بالعقل والمنطق، وكأنه أسدل ستارًا أمام أعينهم، حال دون أن يروا الحقيقة التي كانت واضحة بجلاء. وإنّ هذا لغفلة وعدم بصيرة لا يستسيغها عقل مثلها كمثل عبادة بعض القبائل الإفريقية للطوطم وعبادة أهل سبأ للشمس وعبادة قوم إبراهيم عليه السلام للأوثان، التي كانوا يصنعونها بأيديهم، وعبادة قوم موسى عليه السلام للعجل الذي صنعوه من ذهب. وهذا الوضع في حقيقته إنما هو حماقة أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم. وينبئنا المولى عز وجل في كثير من آياته بأن من الناس من سيستغلق عليه الفهم ويتردون إلى حال يعجزون فيه عن رؤية الحقائق. ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ (البقرة: ٦-٧).

وقوله أيضا :

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أما في سورة الحِجْر فيخبرنا الله عز وجل بأن أولئك الناس قد سُحروا بحيث أنهم لن يؤمنوا حتى ولو رأوا المعجزات، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ

أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ **(الحجر: ١٤-١٥)**

وإن امتداد هذا السحر بشكل مؤثر على قطاعات عريضة من الناس بهذا القدر، وابتعاد الناس عن الحقائق بهذه الدرجة، وبقاء هذا السحر منذ ١٥٠ عاما، لهو وضع مثير للحيرة والدهشة بدرجة لا يمكن شرحها بكلمات، لأنه من الممكن أن يستسيغ العقل اعتقاد شخص أو عدة أشخاص لسيناريوهات مستحيلة ومزاعم حافلة بالخَرَف والهراء والأمور غير المنطقية، إلا أن اعتقاد الكثيرين من البشر في كافة أنحاء العالم بأن الذرات اللاوعية والجامدة قد اجتمعت بقرار فجائي، فأتت بالكون الذي نراه يعمل بنظام لا تشوبه شائبة، ويكشف عن تنظيم غير عادي ونظام متقن غاية الاتقان، وبكوكب الأرض الذي يختص بكافة السمات المناسبة للحياة، وبكائنات حية مزودة بأنظمة معقدة تفوق الحصر، ليس له من تفسير سوى أنه سحر.

كما أن الله عز وجل ينبئنا من خلال تلك الحادثة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، بأن بعض الأشخاص ممن ينافحون عن الفلسفة الإلحادية، يؤثّرون على الناس بما يصنعونه من السحر. فحينما قص موسى عليه السلام نبأ الدين الحق على فرعون، طلب فرعون إلى موسى أن يلتقي بسحرته في موضع يحتشد فيه الناس. وحينما التقى موسى السحرة أمرهم أن يبادروا هم باستعراض مهاراتهم. والآية التي تسرد هذه الحادثة تقول:

﴿ قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ **(الأعراف:١١٦)**

. وعلى نحو ما تبدى تمكن سحرة فرعون بما صنعوه من خدع أن يسحروا الناس جميعا باستثناء موسى والذين آمنوا به. إلا أن البرهان الذي ألقاه موسى في مواجهة ما ألقاه هؤلاء على حد التعبير الوارد بالقرآن الكريم "تَلَقَّفَ مَا يَأْفِكُونَ"، أي أنّه أبطل تأثيره، يقول تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾ **(الأعراف:**

١١٧-١١٩)

وعلى نحو ما ورد في الآيات، و مع إدراك أن ما فعله هؤلاء الأشخاص الذين سحروا الناس من قبل وأثروا عليهم إنما هو إفك، باؤوا بالذل والضعَّة. وأولئك الذين يؤمنون بمزاعم خرقاء إلى أقصى درجة تحت غلاف من العلم وبتأثير السحر في عصرنا الراهن، وينذرون حياتهم للدفاع عنها، فسوف يسقط شأنهم ويُذلوا ما لم يتخلوا عن هذه المزاعم، وذلك حينما تظهر الحقيقة بجلاء بكامل معانيها، و"يبطل تأثير السحر".

ويشرح مالكوم موجريدج (Malcolm Muggeridge) الذي ظل ينافح عن نظرية التطور حتى ناهز الستين من عمره، وكان فيلسوفاً ملحداً، ولكنه أدرك الحقائق من بعد الوضع الذي ستتردى إليه نظرية التطور في المستقبل القريب قائلا:

"إنني أنا نفسي صرت مقتنعا بأن نظرية التطور ستكون إحدى مواد المزاح الموجودة بكتب تاريخ المستقبل لا سيما في المجالات التي طُبقت فيها. وسيتلقى جيل المستقبل بالدهشة والحيرة اعتناق فرضية متهرئة يكتنفها الغموض بسذاجة لا يصدقها عقل" . [٦٣]

وهذا المستقبل ليس ببعيد، بل على العكس من ذلك، فإن البشر في المستقبل القريب للغاية، سيدركون أن المصادفات ليست إلهاً وسوف يتم الاعتراف بأن نظرية التطور إنما هي أكبر خدعة وأشد أنواع السحر في تاريخ العالم. وسرعان ما بدأ هذا السحر الشديد ينحسر عن الناس في شتى أنحاء الأرض، وبات الكثيرون ممن وقفوا على سر خدعة التطور، يتساءلون بدهشة وحيرة كيف انطلت هذه الخدعة عليهم.

1. Prof. Thomas Arnold, The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching, Goodword Books, 2001, p. 79-80
2. John L. Esposito, Islam: The Straight Path, Oxford University Press, 1998, p. 10
3. Ramuz El Hadis, Vol 1, 84/8
4. Ramuz El Hadis, Vol 1, 76/12
5. Bukhaaree (5778) and Muslim (109 and 110), Reported by Muslim - Eng. Trans, Vol. 1, p. 62, No. 203
6. Karen Armstrong, Holy War, MacMillan London Limited, 1988, p. 25
7. Tabari, Ta'rikh, 1, 1850, cited in Majid Khadduri, War and Peace in the Law of Islam, Johns Hopkins Press, Baltimore, 1955, p. 102
8. Fred Aprim, "The A to Z of the ancient Chaldeans and their relation to modern Chaldeans", http://www. atour. com/education/20001021a. html
9. Prof. Thomas Arnold, The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching, p. 71-72
10. L. Browne, The Prospects of Islam, p. 11-15
11. John L. Esposito, Islam: The Straight Path, p. 33-34
12. Bernard Lewis, The Middle East, Weidenfeld & Nicolson, London, 1995, p. 210
13. Prof. Thomas Arnold, The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching, p. 96
14. Prof. Thomas Arnold, The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching, p. 88-89
15. F. Emecen, K. Beydilli, M. İpşirli, M. A. Aydın, İ. Ortaylı, A. Özcan, B. Yediyıldız, M. Kütükoğlu, Osmanlı Devleti ve Medeniyeti Tarihi (The History of the Ottoman State and Civilization), İslam Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, İstanbul, 1994, p. 467
16. Gesta Francorum, or the Deeds of the Franks and the Other Pilgrims to Jerusalem, translated by Rosalind Hill, London, 1962, p. 91
17. August C. Krey, The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants, Princeton & London, 1921, p. 261
18. August C. Krey, The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants, p. 262
19. Alan Ereira, David Wallace, Crusades: Terry Jones Tells the Dramatic Story of Battle for Holy Land, BBC World Wide Ltd., 1995.
20. The Pact of Najran, Article 6, http://www. islamic resources. com/Pact_of_Najran. htm
21. Karen Armstrong, Holy War, p. 30-31
22. John L. Esposito, Islam: The Straight Path, p. 58
23. Prof. Thomas Arnold, The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching, p. 56
24. John L. Esposito, Islam: The Straight Path, p. 59
25. Karen Armstrong, Holy War, p. 185
26. Yusuf Besalel, Yahudi Ansiklopedisi (Jewish Encyclopedia), Volume 1, Gözlem Gazetecilik Basın ve Yayın AŞ, 2001, p. 246
27. An Interview with Edward Said by the Israeli Newspaper Haaretz, Friday, August 18, 2000
28. Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd edition, New York, A L. Burt Co., 1874, p. 178
29. Lalita Prasad Vidyarthi, Racism, Science and Pseudo-Science, Unesco, France, Vendôme, 1983. p. 54
30. Theodore D. Hall, "The Scientific Background of the Nazi "Race Purification" Program", http://www. trufax. org/avoid/nazi. html
31. James Joll, Europe Since 1870: An International History, Penguin Books, Middlesex, 1990, p. 164
32. M. F. Ashley-Montagu, Man in Process, New York: World. Pub. Co. 1961, pp. 76, 77 cited in Bolton Davidheiser, W E Lammers (ed) Scientific Studies in Special Creationism, 1971, p. 338-339
33. L. H. Gann, "Adolf Hitler, The Complete Totalitarian", The Intercollegiate Review, Fall 1985, p. 24; cited in Henry M. Morris, The Long war Against God, Baker Book House, 1989, p. 78
34. J. Tenenbaum., Race and Reich, Twayne Pub., New York, p. 211, 1956; cited by Jerry Bergman, "Darwinism and the Nazi Race Holocaust", http://www. trueorigin. org/holocaust. htm
35. Peter Chrisp, The Rise Of Fascism, Witness History Series, p. 6
36. Hickman, R., Biocreation, Science Press, Worthington, OH, pp. 51–52, 1983; Jerry Bergman, "Darwinism and the Nazi Race Holocaust", Creation Ex Nihilo Technical Journal 13 (2): 101–111, 1999
37. Robert M. Young, Darwinian Evolution and Human History, Historical Studies on Science and Belief, 1980
38. Alan Woods and Ted Grant, Reason in Revolt: Marxism and Modern Science, London: 1993
39. K. Mehnert, Kampf um Mao's Erbe, Deutsche Verlags-Anstalt, 1977
40. Karl Marx, Das Capital, Vol. I, 1955, p. 603
41. Vladimir Ilich Lenin, Collected Works, 4th English Edition, Progress Publishers, Moscow, 1965, Volume 11, p. 216
42. L. Poliakov, Le Mythe Aryen, Editions Complexe, Calmann-Lévy, Bruxelles, 1987, p. 343

43. Robert Clark, Darwin: Before and After, Grand Rapids International Press, Grand Rapids, MI, 1958., s. 115-116; cited by Jerry Bergman, "Darwinism and the Nazi Race Holocaust", http://www. trueorigin. org/holocaust. htm
44. Sidney Fox, Klaus Dose, Molecular Evolution and The Origin of Life, New York: Marcel Dekker, 1977. p. 2
45. Alexander I. Oparin, Origin of Life, (1936) New York, Dover Publications, 1953 (Reprint), p. 196
46. "New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life", Bulletin of the American Meteorological Society, vol 63, November 1982, p. 1328-1330.
47. Stanley Miller, Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules, 1986, p. 7
48. Jeffrey Bada, Earth, February 1998, v. 40
49. Leslie E. Orgel, "The Origin of Life on Earth", Scientific American, vol 271, October 1994, p. 78
50. Charles Darwin, : A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 189
51. Charles Darwin,, p. 184.
52. B. G. Ranganathan, Origins?, Pennsylvania: The Banner Of Truth Trust, 1988.
53. Charles Darwin,, p. 179
54. Derek A. Ager, "The Nature of the Fossil Record", Proceedings of the British Geological Association, vol 87, 1976, p. 133
55. Douglas J. Futuyma, Science on Trial, New York: Pantheon Books, 1983. p. 197
56. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, 1970, ss. 75-94; Charles E. Oxnard, "The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt", Nature, vol 258, p. 389
57. J. Rennie, "Darwin's Current Bulldog: Ernst Mayr", Scientific American, December 1992
58. Alan Walker, Science, vol. 207, 1980, p. 1103; A. J. Kelso, Physical Antropology, 1st ed., New York: J. B. Lipincott Co., 1970, s. 221; M. D. Leakey, Olduvai Gorge, vol. 3, Cambridge: Cambridge University Press, 1971, p. 272
59. Time, November 1996
60. S. J. Gould, Natural History, vol. 85, 1976, p. 30
61. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, p. 19
62. Richard Lewontin, "Billions and billions of demons", The New York Review of Books, 9 January, 1997, p. 28.
63. Malcolm Muggeridge, The End of Christendom, Grand Rapids: Eerdmans, 1980, p. 43

